السبت 22 حزيران 2024
العدد 5228 السنة الثامنة عشرة
Samedi 22 Juin 2024 no 5228 18ème année

24 صفحة
50000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

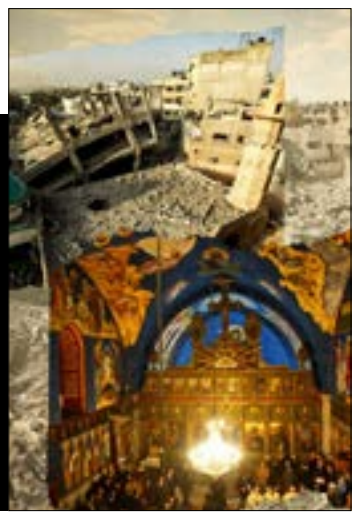

كلمات

الإبادة ثقافيّة أيضاً

قبرص تواصل سياسة الانكار
ضباط العدو: الصواريخ ستدمر حيفا [2]

إسرائيل تريد «نصراً» لا يوقف الحرب

[8 ـ 11]

(أ ف ب)

تقرير

مدير الاعتماد المصرفي «هارب»
تحقيقات في شبهة اختلاس ملايين الدولارات
4

تقرير

واشنطن تشدد الضغوط الاقتصادية:
مطار صنعاء مهدّد بالإغلاق
11

تقرير

محرقة خيام جديدة في رفح
10

فضية اليوم

توضيح قبرصي غير كافٍ: لا سيادة لنا على القواعد البريطانية

لم تتوقّف أصداء التحذير الذي وجّهه الأمين العام لـ«حزب الله» السيد حسن نصرالله إلى قبرص في كلمته الأخيرة، بأنها ستكون في عين أي حرب يشنّها العدو على لبنان وتُستخدم فيها قواعد ومطارات الجزيرة. ولليوم التالي، واصلت الحكومة القبرصية تقديم توضيحات تركّز على أنها غير متورطة في أي صراعات عسكرية وستظل كذلك، وأن

> وفد أمني قبرصي زار بيروت نافياً وقف التأشيرات، ولا اجتماعات بينه وبين حزب الله

المسؤولين القبارصة لا يسمحون بأن تكون بلدهم منصة لاستهداف دولة أخرى.

وعلمت «الأخبار» أن خطاب نصرالله تزامن مع زيارة وفد من المخابرات القبرصية برئاسة نائب مدير الاستخبارات القبرصية إلى بيروت، ومواعيد محدّدة مسبقاً مع مديرية المخابرات في الجيش لبحث موضوع الهجرة غير الشرعية حصراً. لكنّ الوفد، عاد وطلب مقابلة المدير العام للأمن العام بالإنابة اللواء الياس البيسري وبحث معه تصريحات نصرالله. وكرّر الوفد للبيسري موقف بلاده بعدم السماح «لأي دولة باستخدام أراضيها وقواعدها الجوية لتهديد لبنان، وأنه لا صحة على الإطلاق لوجود قرار بوقف منح اللبنانيين تأشيرات لدخول الجزيرة». وأشار الوفد إلى «وجود قاعدتين بريطانيتين على الجزيرة لا تخضعان لسيادة الحكومة القبرصية».

وفي بيروت، قالت مصادر رفيعة المستوى إن «المسؤولية الكبرى تقع على عاتق الحكومة التي لم تقدم على أي خطوة دبلوماسية تُعبّر عن موقف لبنان من المناورات التي أجراها الجيش الإسرائيلي في مدينة بافوس (على الساحل الجنوبي الغربي لقبرص) استعداداً لحرب مع لبنان، علماً أن المناورات جرت مرتين». واعتبرت المصادر أن «الإهمال الرسمي لهذا الملف، هو ما دفع بنصرالله إلى إعلان هذا الموقف للمرة الأولى». وأكدت المصادر أن أي اتصال في هذه الأخيرة، بأنها ستكون في عين أي حرب يشنّها العدو على لبنان وتُستخدم فيها قواعد ومطارات الجزيرة. وللمرة التالي، واصلت الحكومة القبرصية تقديم توضيحات تركّز على أنها غير متورطة في أي صراعات عسكرية وستظل كذلك، وأن القبرصي بالتزامن مع تحذيرات إضافية من إمكانية نشوب حرب كبيرة، كان آخرها على لسان الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش، الذي شدّد أمس على أنه «يجب ألا يصبح لبنان غزة أخرى» منذداً بما وصفه بـ«الخطاب العدائي» لإسرائيل وحزب الله الذي يثير مخاوف من كارثة لا يمكن تصورها. وتابع أنه «يشعر بقلق بالغ إزاء تصاعد التوتر بين إسرائيل وحزب الله، مضيفاً أن قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة تعمل على تهدئة الوضع ومنع التقديرات الخاطئة». بينما نقلت هيئة البث الإسرائيلية أمس أن «إسرائيل ستُعلن هزيمة حماس واحتمال توسيع المواجهة مع لبنان».

الشيوعي القبرصي يحذّر

وظلّ تحذير نصرالله، يتفاعل في قبرص. فبعد رئيس الدولة والمتحدث باسم الحكومة، أعاد وزير الخارجية كونستانتينوس كومبوس، أمس، التأكيد أن «قبرص ليست منخرطة في أي عمليات عسكرية يُمكن أن تُبرّر مثل هذه التهديدات». وقال إن «التهديدات لا أساس لها من الصحة. لقد عملنا بنشاط منذ أشهر لتقديم الدعم لأهل غزة، بالتعاون مع مختلف الدول والأمم المتحدة. لذلك نحن مندهشون بنفس القدر من مزاعم نصرالله، لأنها لا علاقة لها بتصرفات قبرص أو مبادئها». وأوضح الوزير أن حكومته اتخذت جميع الإجراءات الدبلوماسية اللازمة لمعالجة الوضع، مشيراً إلى الدعم والتضامن اللذين عبّرت عنهما «السلطات اللبنانية والاتحاد الأوروبي واليونان والولايات المتحدة ودول أخرى». وفق صحيفة «CyprusMail» الناطقة بالإنكليزية. وفي هذا السياق، قال مصدر قبرصي لـ«رويترز» إن رئيس الحكومة نجيب ميقاتي اتصل بالرئيس القبرصي لـ«شكره على ردّه الدبلوماسي المُعتدل»، مشيراً إلى أن ميقاتي خاطبة بكلمة «صديقي العزيز».

وعكس تقرير لوكالة «رويترز» مزاج الشارع، ونقل عن قبارصة ومقيمين على الجزيرة أنهم شعروا بالقلق بعد تهديد نصرالله، معتبرين أن لا شأن لهم بالحرب الدائرة شرق قبرص، ولا يريدون أن تطاولهم. فيما صدر موقف لافت عن الحزب الشيوعي المعارض، ثاني أكبر حزب في الجزيرة، الذي شدّد على وجوب أن تكون قبرص «جسراً للسلام والتعاون، وليس قاعدة حرب أو ساحة تدريب لأي جيوش أجنبية» وأضاف: «إن نضال قبرص يهدف إلى التخلص من الجيوش الأجنبية في جزيرتنا، وأي وجود عسكري أجنبي في الجزيرة لا يُضيف الأمن إلى شعبنا، بل يزيد المخاطر والأعداء».

وأكد الحزب الشيوعي أن «من واجب قبرص ومصلحتها ألّا يكون لها أي نوع من التورط في خطط إثارة الحرب التي تتبناها الحكومة الإسرائيلية وحلفاؤها»، مطالباً بـ«موقف حازم تجاه المملكة المتحدة في ما يتعلق بمشاركة القواعد البريطانية في العمليات العسكرية الإسرائيلية، الأمر الذي يُضاعف المخاطر التي يتعرض لها شعبنا».

العدو يؤكد التعاون العسكري

من جانبه، لم يبادر العدو إلى أي خطوة لتخفيف الإحراج عن حكومة قبرص، ونشرت وسائل إعلام ما يمكن اعتباره تأكيداً للمخاوف التي عبّر عنها حزب الله. ونقلت القناة 13 عن موشيه شلومنسكي، وهو مسؤول سابق عن إذاعة جيش الاحتلال قوله: «نتيجة تجربتي الطويلة، نصرالله لم يتحدث عبثاً في موضوع قبرص فهو يدرك شيئاً ما وكلامه دائماً يستند إلى أدلة وهو يعرف عن ماذا يتحدث». وفي تقرير قدّمه أور هيلر، المراسل العسكري للقناة نفسها، جرى الحديث عن «تحالف استراتيجي قام في السنوات الأخيرة مع قبرص واليونان، وهي دول تقع مقابل لبنان وسوريا، وقد أجرى الجيش الإسرائيلي مرات عدة وبشكل علني مناورة على احتلال قبرص بالأف جنود الجيش الإسرائيلي والطائرات والسفن والقوات الخاصة في محاكاة لحرب ضد لبنان، وفي شهر أيار من العام الفائت أجريت مناورة (سماء زرقاء) في قبرص كانت تحاكي هجوماً في العمق اللبناني، بالإضافة إلى ذلك فإن الموساد والشاباك لديهما علاقة وثيقة جداً مع الاستخبارات القبرصية».

(الأخبار)

ضباط العدو: صواريخ حزب الله لن تترك الكثير من حيفا

تأتي التهديدات الإسرائيلية بتوسيع الحرب ضد لبنان بمفعول عكسي، إذ لا يتوقف سيل التحذيرات والتعبير عن القلق والخشية داخل الأوساط السياسية والإعلامية وحتى العسكرية الإسرائيلية، باعتبار أن خطوة كهذه هي بمثابة «الانتحار الجماعي» في إسرائيل، فجيشها «صغير الحجم، وهو غير قادر على الفوز حتى في ساحة واحدة، وبالتأكيد ليس في ست ساحات في نفس الوقت»، بحسب اللواء احتياط في جيش العدو ومفوض شكاوى الجنود السابق، إسحاق بريك، الذي أكد أن الجيش الإسرائيلي «يعاني من نقص شديد في الموارد، وخاصة في مجال التسليح، وبالتالي فإن الحرب الشاملة ستجلب الكارثة والدمار لإسرائيل».

وفيما لم تستفق حيفا من صدمة «الهدد» بعد، قال البروفيسور في قسم الدراسات الشرق أوسطية في «جامعة حيفا» أميتسيا بارعام، إن «ثلث المنازل في حيفا سوف تُسوى بالأرض في أي حرب مع حزب الله، والآف الصواريخ لن تترك الكثير من حيفا».

وعبّر القائد السابق لنظام الدفاع الجوي في جيش الاحتلال زفيكا هايموفيتش، عن مخاوفه من قدرات حزب الله في عالم الصواريخ والقذائف والطائرات بدون طيار، قائلاً: «أعرف جيوشاً كثيرة في العالم لا تمتلك قدرات مثل قدرات حزب الله» في هذه المجالات.

وفي هذا الصدد، توقفت سائل إعلام إسرائيلية عند تعميق حزب الله «للدروب» في نظام الدفاع الجوي الإسرائيلي، بعد نشره الخميس توثيقاً يظهر إصابة طائرة مُسيّرة لمنظومة Drone Dome التابعة لشركة «رفائيل» للدفاع ضد المحلقات، قائلة إنه «بعد إصابة «طل شمايم» والقبة الحديدية، دخلت منظومة Drone Dome قائمة الاستهداف».

وبثّ حزب الله مشاهد مصوّرة وثّقتها طائرة مُسيّرة للحظة مهاجمة مُسيّرة انقضاضية منظومة دفاع جوي إسرائيلية عبارة عن جهاز رادار لإسقاط المُسيّرات، يُطلق عليه اسم «درون دوم» (أي قبة المُسيّرات)، في موقع المطلة.

وأظهرت اللقطات مُسيّرة انقضاضية، تحلّق باتجاه الموقع، قبل أن تعدّل مسارها وتنقضّ بسرعة كبيرة على المنظومة المكوّنة من شكل رادار، فيما فشلت المنظومة الإسرائيلية في التصدي للمُسيّرة، التي أصابتها بشكل مباشرة وانفجرت فيها بشكل واضح.

والمنظومة المستهدفة من إنتاج شركة «رافائيل»، وهي مصمّمة لتوفير دفاع جوي ضد الطائرات المُسيّرة، عبر تفعيل جهاز تشويش وإسقاطها، وتتكون من وحدات رصد بزاوية 360 درجة، لرصد المُسيّرات إضافة إلى جهاز تشويش وتركيز على الهدف.

وفي السياق، قالت صحيفة «هآرتس» العبرية، إنه «بفضل التكنولوجيا المتاحة والأسلحة الدقيقة، أصبح حزب الله جيشاً ذكياً يتمتع بقدرات دقيقة على جمع المعلومات الاستخبارية التي تهدد الجيش الإسرائيلي والبنى التحتية الحيوية في إسرائيل»، لافتة إلى أن

> «حزب الله يعرف كيفية تشغيل طائراته المُسيّرة بطريقة مثيرة للإعجاب، إنه مستعد لحرب طويلة، ويعمل باقتصاد نيران صحيح مقابلنا»

«الطائرات المُسيّرة ساعدت حزب الله على خلق معادلة لمنظمة عسكرية تقاتل جيشاً نظامياً، وعلى الرغم من أن قدراتنا أكبر، إلا أن مُسيّراته تقوّض ميزان القوى الاستراتيجي لإسرائيل في مواجهة أعدائها».

ونقلت الصحيفة عن ضابط وصفته أنه في موقع مهم في نظام الدفاع الجوي المتمركز حالياً في القطاع الشمالي، قوله: «لقد كان لدينا عدد غير قليل من الحالات التي أطلقنا فيها صواريخ اعتراضية على طيور لها بصمة رادار مماثلة لتلك الخاصة بطائرات حزب الله المُسيّرة. في بعض الأحيان هناك قوة تابعة للجيش تقرر إطلاق طائرة مُسيّرة دون إبلاغ. حدث أننا أسقطنا أيضاً وسائل تخصنا». وأضاف المصدر أن «حزب الله يعرف كيفية تشغيل طائراته المُسيّرة وقدراته النارية بطريقة مثيرة للإعجاب نسبياً»، موضحاً أن «التشكيل الناري لحزب الله في جهوزية عالية. فالحزب مستعد لحرب طويلة، ويفهم التغيير في الواقع. لذلك، إنه يعمل باقتصاد نيران صحيح مقابل إسرائيل، ويهدف إلى حرب استنزاف، ويعمل وفقاً لخطة نارية منتظمة ضدنا».

ميدانياً، ردّ حزب الله أمس الجمعة، على الاعتداء الإسرائيلي في ديركيفا، فشنّ هجوماً جوياً بسرب من المُسيّرات الانقضاضية على موقع رأس الناقورة البحري مستهدفة أماكن تموضع واستقرار ضباط وجنود العدو وأصابت أهدافها بدقة، وأوقعت فيهم إصابات مؤكدة ودمّرت جزءاً من الموقع.

واستهدف حزب الله موقعي زبدين ورويسة العُرن في مزارع شبعا اللبنانية المحتلة، وموقعي السماقة والرمثا في تلال كفرشوبا اللبنانية المحتلة. وشنّ هجوماً جوياً بمسيّرة انقضاضية استهدفت مربض مدفعية للعدو الإسرائيلي في الزاعورة.

(الأخبار)

المقاومة العراقية: سنقاتل إلى جانب حزب الله

بغداد - **الأخبار**

قالت مصادر في المقاومة الإسلامية في العراق إن «كتائب حزب الله في العراق» و«حركة النجباء» أعلنت استعدادها للمشاركة إلى جانب «حزب الله»، في حال موافقته، في مواجهة أي عدوان إسرائيلي محتمل على لبنان، مبيّنة أن الفصيلين المذكورين أدليا بهذا الموقف خلال اجتماع بين فصائل المقاومة العراقية ووزير الخارجية الإيراني بالإنابة، علي باقري كني، الذي زار العراق قبل عيد الأضحى. وأشارت المصادر إلى أن باقري كني تحفّظ على مشاركة فصائل عراقية إلى جانب «حزب الله»، وذلك تلافياً لتوسيع ساحة الحرب في المنطقة في الوقت الراهن. وفي السياق ذاته، يؤكد المتحدث باسم «كتائب سيد الشهداء»، كاظم الفرطوسي، أنّ لدى «حزب الله الإمكانات العالية والتجهيز الكامل والتسليح النوعي وأعداداً كبيرة من المقاتلين، كل ذلك كفيل بصدّ أكبر عدوان مهما كانت إمكانات العدو»، مضيفاً: «ومع ذلك، وفي حال تطلّب الأمر وجود المجاهدين من العراق في جنوب لبنان، سنكون في أول الخطوط المتصدّية للعدوان الصهيوني، كون هذه قضية إسلامية وعربية تذوب فيها كل الخصوصيات والحدود».

إسرائيل تنسب إلى كندا استعدادها لأكبر عملية إجلاء

في سياق يبدو منسجماً مع موجة التهويل أو الخشية من تدهور الوضع على الحدود بين لبنان وفلسطين المحتلة، نقلت وسائل إعلام العدو عن وزير الخارجية يسرائيل كاتس أنه تحدّث مع وزيرة خارجية كندا ميلاني جولي. ونسب كاتس إلى جولي قولها إن كندا «تستعد لعملية الإنقاذ الأكبر في تاريخ الدولة من الناحية العسكرية، والتي تخص رعاياها في لبنان»، علماً أن الجهات الرسمية في لبنان لم تتلقّ أي إشعار من كندا بهذا الخصوص.

ستصل وزيرة الخارجية الألمانية أنالينا باربوك إلى كيان الاحتلال يوم الإثنين لمناقشة الوضع مع لبنان، وذلك «خشية من تزايد المخاوف من تصعيد مع حزب الله»، على ما ذكرت وسائل إعلام العدو التي أشارت إلى أن باربوك، ستنتقل إلى بيروت الثلاثاء، حيث من المقرّر أن تجتمع مع الرئيسين نبيه بري ونجيب ميقاتي والوزير عبدالله بوحبيب.

مخاوف في قبرص التركية أيضاً!

محمد نور الدين

فتح الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله باباً جديداً في مسار الصراع مع إسرائيل، عندما فاجأ العالم كلّه بتحذير قبرص من مغبّة استخدام أراضيها في أي عدوان ضد لبنان. وقد أثارت التصريحات خشية قبرصية فورية. لكنّ موقف الرئيس القبرصي اليوناني نيكوس خريستودوليديس القائل بأن بلاده ليست طرفاً في أي مواجهة، عكس رغبته في تحاشي توجيه أي انتقاد سلبي إلى حزب الله تلافياً لأي توتر، خصوصاً أن لبنان وقبرص يتشاركان ملفَّي التنقيب عن النفط والغاز في البحر، ومسألة النزوح السوري والهجرة عبر قبرص إلى أوروبا. لكنّ القضية لا يبدو أنها وقفت عند حدود جمهورية قبرص الجنوبية (اليونانية)، بل انتقلت إلى الجزء الشمالي من الجزيرة (التركية)، وقد أفسح الإعلام التركي مساحة كبيرة ولا سيما في برامج النقاشات على المحطات التلفزيونية لكلام السيد نصرالله. وكتب الصحافي القبرصي (اليوناني) نيكولاوس ستيليا في صحيفة «غازيتيه دوار» التركية أن تصريحات الرئيس القبرصي هدفت إلى القول بأن التعاون بين إسرائيل وقبرص واليونان قديم وليس من جديد فيه. وأضاف الكاتب أن توتر حزب الله إزاء قبرص سببه قيام الجزيرة بعمليات استخباراتية مشتركة مع إسرائيل ضد عناصر، تعتقد قبرص بأنهم مرتبطون بالاستخبارات الإيرانية.

ويرى ستيليا أن المسألة لا تقف عند تهديد قبرص نفسها، بل أيضاً هي رسالة إلى بريطانيا التي تملك قواعد عسكرية في الجزيرة وتنشط على خط التعاون مع إسرائيل. وينقل الكاتب عن خبراء، قبارصة اعتقادهم بأن أي اعتداء على لبنان يمكن أن يحمل مخاطر استخدام القواعد العسكرية البريطانية في منطقتَي ديكيليا وأكروتيري اللتين كانتا منطلقاً لطلعات جوية إلى إسرائيل وضد اليمن.

ويقول الكاتب إن تهديدات نصرالله لم تشمل القسم التركي الشمالي من الجزيرة، ولكن وحدة الجغرافيا القبرصية قد تحمل مخاطر شمول ارتدادات أي عمليات عسكرية على القسم التركي من الجزيرة. ولا يفوت الكاتب الإشارة إلى تعداد الإسرائيليين والإيرانيين الكبير في قبرص الشمالية. وينقل الكاتب عن كواليس في قبرص الجنوبية أن مسؤولي قبرص يتحركون تجاه الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي لمنع أي تصعيد في الموقف.

ويكتب عمر بيلغه في صحيفة «حريييت» أن التهديد لقبرص الجنوبية يثير القلق أيضاً في قبرص الشمالية، مذكّراً بأن سوريا أطلقت في 30 حزيران 2019 صاروخ أس 200 على طائرة إسرائيلية جاءت عبر الأجواء اللبنانية، لكنّ الصاروخ أخطأ هدفه فسقط على بعد 300 كيلومتر قرب مدينة طشقند في منطقة جبال الأصابع الخمسة في شمال قبرص. ويقول الكاتب إن لا شيء يمنع من أن يطلق حزب الله صاروخاً على قبرص الجنوبية فيسقط في قبرص الشمالية، خصوصاً أن حزب الله «يملك صواريخ «زلزال»، مداها 210 كلم، وصواريخ «فاتح»، مداها 300 كلم بينما المسافة من لبنان الى قبرص هي حوالي 200 كلم، وأن أبعد مسافة من شرق لبنان (نقطة المصنع عند الحدود مع سوريا) إلى مدينة بافوس (جنوب قبرص) هي 330 كيلومتراً».

في الواجهة

«القوّة الثالثة» الضائعة بين المبادرات الثلاث

نقولا ناصيف

ما غدا عليه الاستحقاق الرئاسي أن لا جدوى من مبادرة تنجده: اخفقت حتى الآن على الأقل دعوة الرئيس نبيه برّي إلى الحوار، تعثّرت اجتماعات الخماسية الدولية بوزراء خارجية دولها في الخارج أو تنقّل سفرائها بين مقارّهم في لبنان، فشلت جلسة 14 حزيران 2023 بعدما رامت منها المعارضة كسر حاجز التوازن بين مرشحَيْن كلَيْهما حيل دون حصوله على الأكثرية المطلقة، تهاوت مبادرة كتلة الاعتدال الوطني ومن بعدها تبخّرت تلك التي قادها الحزب التقدمي الاشتراكي كي يؤول المطاف بمبادرة التيار الوطني الحر إلى الاحتضار.

دارت المبادرات تلك، منذ ما قبل حرب غزة بوقوع الشغور ثم ما بعدها، من حول منطق يقول إن إياً من طرفَي الانقسام يقتضي أن يخسر معركته. ذلك ما عناه أن يتمحور الاستحقاق من حول العقبة الأساس فيه: ترشيح رئيس تيار المردة سليمان فرنجية و استبعاده.

تزامُن مبادرتَي الحزب التقدمي الاشتراكي والتيار الوطني الحر لم يولد، كما المبادرتين، من عدم. نصح بهما الموفد الرئاسي الفرنسي جان إيف لودريان عندما حضر أخيراً إلى بيروت، ولمس مؤشراً استعجل تفسيره إيجابياً على أثر اجتماعه برئيس كتلة نواب حزب الله محمد رعد في 29 أيار الفائت، وسماعه منه موقف حزبه مفاده أنه يفصل بين ما يجري في الجنوب وغزة وانتخاب الرئيس. عدم الربط هذا وجد فيه لودريان تقدّماً ملموساً في موقف حزب الله يُظهر استعداده للذهاب إلى الاستحقاق الرئاسي. بذلك توخّت المبادرتان إحراج الحزب، كلّ منهما

> عندما تعجز المبادرات الثلاث عن جلب طرفَي الانقسام إلى تصوّر ثالث

على طريقتها: تفادى الحزب التقدمي الاشتراكي التقدّم بتصوّر مكتوب محاولاً الاكتفاء بسبل تلمّس الوصول إلى تسوية ينخرط فيها الجميع. بدوره لم يتقدّم التيار الوطني الحرّ بأفكار جديدة. انضم إلى المبادرة التي نادى بها رئيس البرلمان وهي الحوار، وقبل بترؤسه إياه في المجلس انتهاءً بعقْد جلسة انتخاب بدورات متتالية. على طريقته أيضاً اجتهد رئيس التيار النائب جبران باسيل في الشقّ المكمّل لمبادرته، بأن توخّى توصّل ذاك الحوار إلى التخلص من ترشيح فرنجية، رغم تيقنه من تمسّك الثنائي الشيعي به. إذا بمبادرته تعود إلى النقطة الصفر كما اليوم من الشغور قبل سنة وثمانية أشهر.

قبل تبنّك المبادرتين، أرادت كتلة الاعتدال الوطني بدورها الاضطلاع بمسعى ما، في غير الموصوفة ظاهراً بانحيازها إلى أي من فريقَي الانقسام، الثنائي الشيعي وحلفائه والمعارضة المسيحية وحلفائها، ما دامت لم تقترع في أي من الجلسات الاثنتي عشرة لأي مرشح. أعدت تصوّراً مكتوباً أدخلت فيه تعديلات على مبادرة برّي كانت كافية لإعطابها.

تعايُش المبادرات الثلاث أتاح الاعتقاد، والواضح أنّه ما أرادته قواها، بنشوء «قوة ثالثة» يُصطلح على أنها «وسطية»، في وسعها الفصل بين تصلّب الفريقين الآخرين وامتلاك كل منهما فيتو منع التئام نصاب ثلثَي البرلمان. تالياً تمكّنها من إيجاد حل وسط من داخل مجلس النواب ينجح حيث فشل سفراء الدول الخمس من خارجه.

في الواقع لم يُصب الوصف الذي أطلقته، كل منها على نحو منفصل، على نفسها على أن محاولتها وسطية. في المقابل يصعب، إن لم يستحل، اجتماع المبادرات الثلاث في واحدة كي يصحّ نعتها بـ«قوة ثالثة» متماسكة قادرة على كسر الجمود.

في تاريخ الاستحقاقات الرئاسية اللبنانية مرّت مرة واحدة تجربة «القوة الثالثة» في خلال «ثورة 1958» قبل الوصول إلى انتخاب الرئيس فؤاد شهاب. انتصفت فريقَي النزاع وهما المؤيدون للتجديد للرئيس كميل شمعون ومعارضوه الذين نادوا بتنحيه قبل نهاية ولايته حتى. ضمّت «القوة الثالثة» هنري فرعون وغسان تويني وشارل حلو ونجيب صالحة ويوسف سالم وبهيج تقيّ الدين ومحمد شقير وجورج نقاش ويوسف حتّي وغبريال المرّ. توّلت وساطات التهدئة بين الطرفين من خلال معادلة واقعية مفادها: لا يُجدّد للرئيس ولا يُرغم على التنحي قبل الدقيقة الأخيرة في ولايته. سرعان ما انتقلت «القوة الثالثة» إلى البحث عن مخرج تجلب إليه فريقَي الموالاة والمعارضة هو اقتراحها في 15 أيار 1958 انتخاب قائد الجيش رئيساً للجمهورية. لولا التدخّل الخارجي والتأثير المباشر الأميركي. المصري لما نجحت ربما.

مع أن أصحاب المبادرات الثلاث الحالية لانتخاب الرئيس يوحون مباشرة أو مداورة بأنهم يرومون الاضطلاع بدور «قوة ثالثة» بين الثنائي الشيعي والمعارضة المسيحية، توصلاً إلى الخروج من عقدة فرنجية أياً تكن المخارج، بما فيها «المرشح الثالث»، إلا أن واقع كلّ منهم لا يؤهله إلى دور كذاك. لا يتردّد نواب في كتلة الاعتدال الوطني في إظهار تأييدهم انتخاب فرنجية عند الأقتضاء، رغم تلطيها بالحياد السلبي الناجم في الأصل عن فقدان الطائفة التي تمثلها مرجعيتها القادرة على اتخاذ قرار.

لم يقل الحزب التقدمي الاشتراكي مرة إنه على الحياد في الاستحقاق الرئاسي، ولم يكن كذلك بعدما اقترع في الجلسات الماضية للنائب ميشال معوض ثم للوزير السابق جهاد أزعور. موقعه الحالي أن لا يصطف مع أحد الفريقين بينما يقف إلى جانب حزب الله في حرب غزة وجبهة الجنوب. ما يقول به الحزب، بدءاً من رئيسه السابق وليد جنبلاط، جهوزه للذهاب إلى أي تسوية يتفق عليها الطرفان المتناحران. الأصح أن الحزب لا يملك ما يمكّنه من الإتيان بالفريقين إلى تصوّر أو حلّ لانتخاب الرئيس ينهي الشغور.

ربما الصائب القول إن باسيل أكثر أطراف المبادرات الثلاث ابتعاداً عن «الوسطية» ومكانة «القوة الثالثة». رفضه المسبق ترشيح فرنجية لا انتخابه فحسب، أحاله طرفاً مباشراً في خوض معركة ببعدين دستوري وسياسي وإن اقتضى التقاطع مع عدوه الأول حزب القوات اللبنانية. أضف أنه أقرب إلى حزب الله منه إلى فريق المعارضة المسيحية بدعمه أولاً احتفاظ الحزب بسلاحه وتمايزه عنه . لا عصيانه عليه . في حرب غزة لشدّ العصب الحزبي.

تقرير اختبأ رئيس مجلس إدارة بنك الاعتماد المصرفي طارق خليفة، خشية توقيفه من قبل فرع المعلومات إثر مذكّرة الإحضار الصادرة عن مدّعي عام التمييز جمال الحجّار، لكنه أرسل وكيله القانوني ليُفاوض نيابة عنه. المعلومات الأولية تُشير إلى شبهات بتورط خليفة في اختلاس ملايين الدولارات وتهريب أموال وتبييضها

مدير الاعتماد المصرفي «هارب»

تحقيقات في شبهة اختلاس ملايين الدولارات

رضوان مرتضى

لم تعثُر القوى الأمنية بعد على رئيس مجلس إدارة بنك الاعتماد المصرفي طارق خليفة، وهو توارى عن الأنظار فور علمه بصدور مذكّرة إحضار سطّرها بحقه مدّعي عام التمييز القاضي جمال الحجّار، على خلفية الاشتباه بتورطه في اختلاس وتهريب أموال من بنك الاعتماد المصرفي إلى مصرف آخر أنشأه خارج البلاد، وسط شكوك بتورطه في عمليات تبييض الأموال من أجل تحقيق منافع شخصية وأرباح مالية بملايين الدولارات.

وإثر محاولة الإحضار التي باءت بالفشل، حضر وكيل خليفة القانوني مارك حبقة إلى مكتب مدّعي عام التمييز في قصر عدل بيروت نهار الخميس ليتعهّد بإحضاره نهار الإثنين المقبل. فأبلغت القوى الأمنية بالتريّث ريثما يحضر ليُقدّم عرضه لحاكم المصرف المركزي بالإنابة وسيم منصوري من أجل تسوية الملف، كما بقصد عرض دفاعه القانوني. القصة بدأت بعد قرار حاكم مصرف لبنان تعيين محمد بعاصيري مديراً مؤقتاً لـ«الاعتماد المصرفي»، وبدأ الأخير عملية التدقيق في مخالفات المصرف كما حدّدتها لجنة الرقابة على المصارف في وقت سابق، والتي عُرضت أيضاً على الهيئة المصرفية العليا. وتبيّن لبعاصيري وجود أدلة على مسؤولية خليفة عن العجز الذي برزح تحت وطأته بنك الاعتماد المصرفي البالغ 309 ملايين دولار أميركي. وتشير المعلومات إلى أنّ خليفة أسّس مصرفاً في أرمينيا لكنه مُني بخسارة تفوق المئة مليون دولار. وقد بيّنت التحقيقات الأولية أنّ خليفة منح قروضاً لأشخاص في أرمينيا سُحبت لهم الأموال من المصرف في لبنان. وهناك معلومات تُشير إلى أنّه قام بالاستدانة من مصرفه بأسماء أشخاص آخرين. كما يجري التدقيق في بيانات حول استخدام أموال المودعين في شراكات تجارية من دون علمهم لتحقيق أرباح شخصية.

وكان قرار المصرف المركزي في تجميد عمل وصلاحيات خليفة، خطوة أساسية سمحت بالتدقيق في شبهات اختلاس، بعدما اتّهم أعضاء مجلس إدارة المصرف رئيس مجلس الإدارة بالتورط في عمليات مخالفة للقانون، وإخفاء معلومات عن لجنة الرقابة على المصارف، برغم أنّ موازنة المصرف كشفت عن العجز الكبير. وقد تركّزت التحقيقات حول كل المعاملات والتحويلات، ما دفع المدير المؤقّت محمد بعاصيري إلى الطلب من هيئة التحقيق الخاصة في المصرف المركزي إلقاء الحجز الكامل على ممتلكات خليفة وأمواله الموجودة داخل لبنان وخارجه. وقد أُرسلت نسخة من قرار هيئة التحقيق الخاصة إلى مدّعي عام التمييز. وقد بادر الأخير فور اطلاعه على المعطيات إلى طلب إحضار خليفة فوراً. وبعد ساعات على صدور مذكّرة الإحضار من صباح نهار الأربعاء، أقفل خليفة هواتفه وهو متوارٍ عن الأنظار منذ ما بعد ظهر الأربعاء ولا يزال.

> **تبيّن وجود تقارير مُرسلة إلى لجنة الرقابة غير مطابقة لنسخها الأصلية وخالية من أسماء مستفيدة من تحويلات مالية**

وفي هذا السياق، تكشف مصادر مطّلعة على الملف أنّ الحاكم بالإنابة سبق أن طلب من خليفة تأمين نحو مليون دولار أميركي، نقداً أو ما يوازيه من عقارات، ليكون بمثابة رهن ريثما ينتهي التحقيق القائم، لكنّ الأخير رفض ليعمد إلى ابتزاز حاكم المصرف المركزي وآخرين من أجل توفير مظلة سياسية تحميه من الملاحقة. وأطلق خليفة شائعات أنّ هناك سعياً لتسليم مصرفه إلى المسلمين. وعمد إلى تحريض البطريرك الماروني بشارة الراعي، الذي استضاف لاحقاً منصوري على الغداء، وسمع منه، تفاصيل المخالفات الموجودة والتي حتّمت قرار وضع مدير مؤقّت عليه، ليتبيّن لاحقاً أن جهات حقوقية أطلعت الراعي على تفاصيل الملف والتهم الموجّهة إلى خليفة.

وبحسب التحقيقات الجارية من قبل بعاصيري، فإن الملفات تشمل تحويلات وعمليات مالية أجريت في وقت سابق، لكنّ المصرف كان قد أخفى بعض الأسماء المستفيدة منها في التقارير التي حوّلها إلى لجنة الرقابة على المصارف. لكنّ بعاصيري فوجئ خلال مراجعته البيانات الأصلية الموجودة في محفوظات المصرف بوجود هذه الأسماء، والتي تخص شخصيات يُفترض أنها «ممنوعة من العمل المصرفي». وهو ما أثار شبهات إضافية حول عمليات «غير مشروعة» قد جرت بعلم خليفة نفسه، خصوصاً أن أعضاء في مجلس الإدارة نفوا أمام بعاصيري أنهم كانوا على اطّلاع على كثير من العمليات التي كان خليفة يتولى الإشراف عليها.

وفي السياق نفسه، طلب مصرف لبنان، عبر المدير المؤقّت لمصرف الاعتماد المصرفي، أن يقوم المساهمون بتوفير مبلغ عشرة ملايين دولار أميركي نقداً، من أجل تغطية برنامج الدفع الشهري لمبلغ المئة والخمسين دولاراً الذي يُدفع للمودعين، لكنّ خليفة تمنّع عن ذلك، قائلاً إنه لا يملك القدرة وإن أعضاء مجلس الإدارة الآخرين طالبوا المدير المؤقّت بالعمل على استيفاء المبلغ من خليفة نفسه. وتتحدّث المعلومات عن أنّ خليفة بصدد تقديم عرض، يكون بمثابة ضمانة عقارية ومالية لدى مثوله أمام مدّعي عام التمييز ليحول دون توقيفه بانتظار استكمال التحقيقات الجارية.

وجهة نظر

خطة طوارئ «التربية» تحتاج إلى خطة

نعمه نعمه *

بعد أشهر من اندلاع المواجهات جنوباً واستجابة لضغوط محلية ودولية، وضعت وزارة التربية خطة طوارئ ورقية لابتزاز الجهات المانحة ونيل المساندة المالية من أجل تأمين مستلزمات الدراسة للتلامذة المهجّرين قسراً، وإن كانت الطموحات المالية للوزارة أكبر بكثير مما حصلت عليه.

اجتماع يتيم عُقد، في نهاية تشرين الأول، اطّلع خلاله وزير التربية عباس الحلبي من رئيسة المركز التربوي للبحوث والإنماء هيام إسحق، وفريق العمل التربوي والإداري والتكنولوجي والرقمي في المركز، على الخطة الموضوعة لكيفية تأمين التعليم في حال اشتداد الأزمة ميدانياً. وجرى عرض مفصل لمنصة «مواردي» (تحتوي موارد وموادّ للتحضير للدروس الرقمية)، والمنهاج المختصر في حال الحرب!

لاحقاً، تابع الحلبي مع مديري المدارس الرسمية في مناطق المواجهة من خلال اجتماع تنسيقي للمباشرة بالتعليم أونلاين، بدءاً من الفصل الثاني من العام الدراسي، أي بعد أكثر من شهرين ونصف شهر من التهجير، وجرى توزيع نحو 3200 كمبيوتر و3000 «تابليت». وتحدّث المديرون عن صعوبة التواصل مع 10800 تلميذ أقفلت مدارسهم في قرى الجنوب.

إلا أن الوزارة لم تعتمد أياً من المبادئ الرئيسية للتخطيط للطوارئ التي وضعتها مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين UNHCR، ومنها أن تكون خطة الطوارئ بسيطة وسهلة التنفيذ ومحددة وليست عامة، على أن تكون مرتبطة بتحليل ومراقبة الخطر لصياغة الخطة على أساس المعلومات المحددة. كذلك يجب أن تستخدم خطة الطوارئ بفعالية وبشكل منصف، لتلبية الاحتياجات الإنسانية بالطريقة المناسبة. وبحسب المفوضية، فإن الخطط المكتوبة مهمة، إلا أنه في غياب عملية سليمة للتخطيط للطوارئ، يمكن أن تصبح هذه الخطط غير فعّالة أو مهملة. «ويجب أن يكون التخطيط للطوارئ واقعياً، إذ يمكن أن تعطي خطط الطوارئ انطباعاً بأن الأزمة يمكن معالجتها في حين من المرجّح أن تفوق بكثير القدرة المتوافرة على الاستجابة».

وما سمّته الوزارة «خطة طوارئ في حال الحرب» ليس خطة ولا شبيهاً بها، فكل عناصر الخطة غير متوفرة فيها، بدءاً من التأخر في الاجتماع الأول إلى النتائج والفوضى في اختيار مراكز الامتحانات الرسمية، مروراً بما اكتسبه التلامذة خلال هذه المرحلة والتحاقهم بمدارس بديلة أو بالتعليم «أونلاين».

وبدل أن تحصر الوزارة خطة الطوارئ بالحدود

> **لم يتمكن نحو 10 آلاف تلميذ من الوصول إلى التعليم**

الجغرافية للمناطق المتأثرة وسعتها، جعلتها أكثر إبهاماً بإضافة «حالة الحرب» إلى العنوان. فأركان الوزارة لا يملكون الخبرات الكافية والأهلية لوضع خطة طوارئ ووضع خطة تنفيذية للاستجابة، كما لم تقم الوزارة بجمع الداتا ووضع خارطة بأماكن توزع التلامذة، مبررة ذلك بوجود صعوبات في التواصل، علماً أن الداتا وأرقام الهواتف متوفرة في نظام SIMS الإداري في كل مدرسة. كما لم تستخدم الوزارة الموارد بفعالية. فمنصة «مواردي» غير فعّالة في الأصل ويشوبها الكثير من الثغر، كما أن المقوّمات اللوجستية للتعليم «أونلاين» غير متوفرة، من إنترنت وكهرباء وأجهزة كافية، وليست هناك آلية عملية للاستجابة ولا خط ساخن لهذه الحالة ولا إرشاد عبر وسائل الإعلام والتواصل، كما لم تول الوزارة اهتماماً كافياً للتخفيف من آثار الأزمة تربوياً ونفسياً واجتماعياً. فكانت النتيجة صدور قرارات عشوائية بالسماح للطلاب بالالتحاق بأي مركز امتحان كما في الامتحانات المهنية وغيرها. ويضاف إلى ذلك عدم تخصيص الوزارة موارد مالية ولوجستية وبشرية كافية، وغياب الواقعية في تحديد الحاجات والخطة التنفيذية لتصبح الاستجابة أقل بكثير من القدرات المقدّمة من الوزارة.

لم يلتحق معظم تلامذة قرى المواجهة والمحيط بمدارس بديلة. فالوزارة قدّمت دعماً مجتزأً بتوفير «تابليت» لبعض التلامذة واختصار وتكثيف المنهاج، فيما العوائق أمام تأمين الحد الأدنى من التعليم عديدة، من بينها فكر عقيم وتمييزي أدار «خطة الطوارئ» التي تعمّدت إهمال تلامذة المناطق الحدودية، ولا سيما الملتحقين بالمدارس الرسمية عبر شمولهم بخطة في حال الحرب الشاملة على لبنان، فيما التحدي منذ أكثر من ثمانية أشهر هو الجنوب، فماذا عن العائق الأمني الناتج عن التنقل بين القرى الآمنة نسبياً للالتحاق بمدرسة أو لإجراء الامتحانات، والوضع النفسي والقلق والخوف، المترافق كل ذلك مع تحليق المُسيّرات والطائرات الصهيونية فوق رؤوسهم، وأصوات القصف وجدار الصوت وأخبار فقدان تلامذة ومدنيين ودمار قراهم وبيوتهم، فضلاً عن القدرة على التعلّم في ظل هذه الظروف، ما يستدعي أن تضع الخطة إمكانات مضاعفة لمواكبة هؤلاء.

بحسب الأرقام، فإن تلامذة الجنوب والنبطية كانوا من بين الأقل تأثراً بالإضرابات والاضطرابات التي حصلت منذ 2019 والأقل فقداناً للتعلّم مقارنة مع تلامذة لبنان، واليوم ينضم نحو 10 آلاف تلميذ إلى قافلة الفقدان التعليمي الأعلى، حيث لم تتوفر لهم الشروط الدنيا للتعلّم ولا الوسائل أو الدعم اللوجستي والنفسي والاجتماعي.

* باحث في التربية والفنون.

تقرير

تمويل المدرسة الصيفية: فساد في مشروع بلا جدوى

فاتن الحاج

للسنة الرابعة، تموّل منظمة اليونيسف المدرسة الصيفية في المدارس الرسمية التي تبدأ هذا العام في 22 تموز وتنتهي في 29 آب المقبل. المديرون في مدارس الشمال لم يغرّهم تخصيص 21 دولاراً يومياً، أي 25 في المئة من الأجر المعتمد خلال العام الدراسي، فاعلنوا مقاطعتهم للمدرسة الصيفية، ودعوا زملاءهم في بقية المحافظات إلى الانضمام إليهم ضد «قرارات تزيد من حدة الأزمة التي نعاني منها منذ أكثر من 5 سنوات». كذلك دعت رابطة المعلمين في التعليم الاساسي مديري المدارس والثانويات الرسمية الى عدم تسجيل التلامذة و«عدم فتح المدرسة الصيفية ضمن المعايير المطروحة لجهة اعطاء المديرين 21 دولارا والمعلمين 17 دولاراً»، مطالبة بـ«وحدة الموقف والتضامن بين الجميع لتحسين واقع المعلم».

المشكلة ليست في شح التمويل، إنما في التمويل نفسه الذي يشبه الرشوة من الجهات المانحة لمشروع لا يخضع لرقابة دورية لا لجداول حضور الأساتذة ولا للمنهاج التعليمي المصمم لهذه المدرسة، وما إذا كان موحداً بين المدارس أو يتطابق مع القوانين اللبنانية. وبحسب معلومات «الأخبار»، فقد تحوّل المشروع إلى مزراب هدر وتبادل للمنافع. فالمعلمون لا يوقّعون على سجل الدوام لتدوين ساعة الدخول والخروج، ويُترك ذلك إلى عامل المكننة بالتنسيق مع مدير المدرسة، ما يفتح المجال للتلاعب بعدد الساعات، أو تسجيل ساعات لمعلمين موجودين خارج الأراضي اللبنانية، كما حدث في بعض مراكز المدارس الصيفية. أما الزيارات التفقدية لمنظمة اليونيسف، فلا تتجاوز الـ 3 زيارات طوال مدة المدرسة الصيفية التي تستخدم مباني حكومية، وسط غياب المفتشين التربويين باعتبار أن فعاليات المدرسة تجري خلال العطلة الصيفية.

مهمة المدرسة إعطاء دروس دعم للتلامذة في المدارس الرسمية والخاصة الشبه مجانية لاستكمال اكتسابهم الكفايات اللازمة للصفوف التي درسوها خلال العام الدراسي الحالي، وتشمل كل المراحل الدراسية، ما عدا المرحلة الثانوية، فيما انتساب التلامذة إليها اختياري ومجاني. ولكن، ليس معروفاً ما إذا كانت ستعود بالفائدة التربوية على التلامذة، ولا

> **مشروع تنفيعي بلا معايير ولا فوائد تربوية موكّدة**

(هيثم الموسوي)

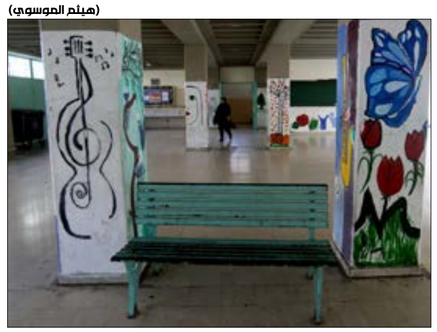

سيما أن الأداء متفاوت بين تلميذ وآخر، ما سيجعل تعامل المعلمين معهم صعباً، بما أن هؤلاء لن يكونوا تلامذتهم بالضرورة. كما أنه ليس هناك معيارٌ موحّد لاختيار التلامذة الذين يشاركون في المدرسة الصيفية، ولا منهاجٌ موحد يسير عليه المعلمون في حصصهم التعليمية التي تؤكد معلومات «الأخبار» أنها تتحول في الغالب إلى نشاطات ترفيهية وكشفية أكثر منها تعليمية.

تعويض الفاقد التعليمي هو أحد الأهداف الرئيسية المعلنة للمدرسة الصيفية، لكنّ السؤال هو عن الجدوى من المشروع في ظلّ غياب أي قياس للمعارف والمهارات لدى التلامذة، وللأساليب التعليمية التي اتّبعها المعلمون في تحسين قدرات تلامذتهم، أو دراسة أثر المدرسة الصيفية التي لا تتجاوز كونها مشروعاً تنفيعياً، ورصد الفروق بين من شارك من التلامذة فيها وبين من لم يشارك.

الالتزام بتوفير التمويل يبقى سؤالاً مطروحاً، خصوصاً أن اليونيسف اعترضت في وقت سابق على سجلات الدوام والحضور في الامتحانات الرسمية لعام 2023 وآخر المستحقات بالدولار، واكتفت، أخيراً، لدى سؤال «الأخبار» عما إذا كانت ستدفع الحوافز بالدولار للفريق الإداري والتعليمي الذي سيشارك في أعمال الامتحانات الرسمية والمهنية لهذا العام، بالقول إنها تقوم حالياً بدعم شراء المستلزمات الأساسية للامتحانات وفقاً لسياسات المنظمة وإجراءاتها المتعلقة بعمليات الشراء.

تقرير

قطر تضغط على لبنان: لعدم توقيف أميرة متّهمة بالاحتيال!

لينا فخر الدين

أثار ادّعاء على إحدى أفراد الأسرة الحاكمة في قطر بجرم الاحتيال المالي «خضّة» دبلوماسية، تؤكد مرة أخرى أن المسار القانوني للأمراء والمحظيين في لبنان يختلف عن ذاك الذي يسلكه الفقراء ومن «لا ظهر» لهم، كما أظهرت قبل سنوات حادثة توقيف «أمير الكبتاغون» السعودي، وكما تؤكده كل قضية مماثلة.

ويعود هذا الملف القضائي إلى عام 2023 عندما نشب خلاف مالي بين الأميرة القطرية خالدة بن جاسم آل ثاني وزوجها من جهة، واللبناني هشام الطفيلي الذي ادّعى على آل ثاني بجرم الاحتيال واختلاس مبلغ مالي، وقدّم مستندات وعقداً للشراكة معها في إحدى المدارس القطريّة مُذيّلاً بتوقيعها، وشيكاً مصرفياً بآلاف الدولارات كان قد أودعه في حسابها.

في المقابل، ادّعت آل ثاني التي تحمل الجنسية اللبنانية على الطفيلي في أحد مخافر البقاع، في تموز 2023، بجرم الاحتيال والتهديد ومُحاولة القتل، وأشارت إلى أنّ المستندات التي اودعها الطفيلي القضاء اللبناني مُزوّرة، وأن لا عقد شراكة معه في أي مدرسة. وأبرز وكيلها مستندات تفيد بأن الطفيلي كان مُدرّساً في المدرسة التي يدّعي أنّه شريك فيها، قبل الاستغناء عن خدماته وعودته إلى لبنان. واتهمت آل ثاني الطفيلي بتهديدها ومحاولة قتلها.

وبحسب معلومات «الأخبار»، جرت التحقيقات بإشارة المحامي العام الاستئنافي في البقاع (بعلبك) القاضي ياسر مصطفى الذي كان يُتابع الملف، قبل أن يحال أخيراً إلى النائب العام الاستئنافي في البقاع القاضي منيف بركات، بطلب من الأخير. ويعكف بركات على دراسة الملف حالياً قبل صدور إشارته في الأيام المقبلة. وأكّدت المصادر القضائيّة أن «لا تدخل قطرياً أو لبنانياً حصل أخيراً في الملف لترجيح كفّة الأميرة القطريّة أو صدور قرار بمنع توقيفها في حال وصولها إلى بيروت».

غير أن معلومات «الأخبار» أكّدت القطرية فور عودتها إلى بيروت التي تنوي زيارتها قريباً، ولا حتّى استجوابها في جُرم الاحتيال المُسند إليها. وعلمت «الأخبار» أنّ اتصالات جرت بكل من وزير العدل هنري خوري والنائب العام التمييزي القاضي جمال الحجّار لـ«ضبضبة» الملف قضائياً!

وبوزير الخارجية عبدالله بو حبيب مطالبين بالضغط على المرجعيات القضائيّة لحل الدعوى المُقامة على آل ثاني، وعدم توقيف الأميرة القطرية لهذه المدرسة، وما إذا كان موحداً بين المدارس أو يتطابق مع القوانين اللبنانية. وبحسب معلومات «الأخبار»، فقد تحوّل المشروع إلى مزراب هدر وتبادل للمنافع. فالمعلمون لا يوقّعون على سجل الدوام لتدوين ساعة الدخول والخروج، ويُترك ذلك إلى عامل المكننة بالتنسيق مع مدير

تقرير

مناقصتان للأدوية بقيمة 64 مليون دولار
«العرض الوحيد» نمطاً للشراء في «الصحة»

فؤاد بزي

سيطر «العارض الوحيد» على المناقصتين اللتين أجرتهما وزارة الصحة لشراء «أدوية الأمراض المزمنة والمستعصية» وأدوية «غسل الكلى». فقد بلغت نسبة الشركات الفائزة بلا منافسة، كونها «العارض الوحيد»، مقارنة مع عدد العارضين الإجمالي نحو 65% لتوريد أدوية الأمراض المستعصية و81% لتوريد أدوية غسل الكلى. وبلغت القيمة الإجمالية للعروض المقدّمة في المناقصتين على أساس «العارض الوحيد» 48,5 مليون دولار أو ما يوازي 75,7% من مجمل قيمة المناقصتين البالغة 64 مليون دولار.

وكانت الوزارة قد أطلقت في 23 نيسان الماضي مناقصتين

استحوذت 15 شركة على توريد 47 صنفاً من الأدوية بـ45,5 مليون دولار بلا أي منافسة

لتلزيم توريد 87 صنفاً من أدوية الأمراض المستعصية، و38 صنفاً من مستلزمات وأدوية غسيل الكلى. وسمح دفتر الشروط في مادته الثالثة، أن يُجرى التلزيم على أساس تقديم أسعار لكل صنف على حدة، أي أن يحقّ للعارض الاشتراك في الصفقة على أساس صنف واحد أو أكثر. وفي 15 أيار الماضي، جرى فض العروض بعد استبعاد شركتين من أصل 23 شركة قدمت عروضها، وتبيّن أن غالبية العروض المقدّمة كانت من عدد محدود من الشركات على عدد واسع المستعصية والمزمنة. فقد شاركت 23 شركة وفازت 15 شركة بلا أي منافسة لأنها كانت «العارض الوحيد». واستحوذت الشركات الـ15 على 47 صنفاً من الأدوية بقيمة 45,5 مليون دولار، توحي هذه النتائج بأن الشركات المحتكرة لاستيراد الدواء، نجحت في تجاوز دفتر الشروط بما يشبه الاتفاق في ما بينها على توزيع مغانم الصفقة. وتتعزّز هذه الفرضية مع وقائع فضّ العروض التي أظهرت أن العروض الفائزة بـ«العارض الوحيد» تعود إلى المستوردين المعروفين بامتلاك الوكالات الحصرية لأدوية «البراند». شركة «مرساكو» مثلاً فازت بـ11 صنفاً قيمتها الإجمالية 11,5 مليون دولار، أي 19% من مجمل المناقصة. و«أومنيفارما» فازت بـ8 أصناف قيمتها 11,7 مليون دولار. عملياً، التركّز الاحتكاري المعروف في السوق، انسحب على نتائج المناقصة بفوز شركتين باكثر من ثلث القيمة الإجمالية للأصناف المدرجة في مناقصة الأمراض المستعصية والمزمنة.

وفي المقابل، تنافست 18 شركة على 38 صنفاً من أدوية الأمراض المستعصية (43% من مجمل أصناف هذه الفئة) بقيمة 14,36 مليون دولار (بقي صنفان من الأدوية لم يقدّم عليهما أي عرض). وكانت الحصّة الأكبر من الفوز للشركات المستوردة التي تتبع أدوية «جينريك». وبلغت القيمة الإجمالية لهذه العروض 14,3 مليون دولار، أي 24% من القيمة الإجمالية لهذه المناقصة. وفازت شركة «LebIRAN» التي تستورد أدويتها من إيران حصراً، بـ6 عروض قيمتها 1,8 مليون دولار، وفازت «LEVANT PULSE» التي تعتمد على الاستيراد من الهند بـ6 عروض أيضاً قيمتها 1,9 مليون دولار، وحصلت شركة الاتحاد «UNION» التي تعدّ من كبار المحتكرين على 5 عروض قيمتها 1,9 مليون دولار، فيما ربحت شركة «MEDIS» التي تستورد من تونس 4 عروض قيمتها 640 ألف دولار.

أيضاً تكرّر الأمر نفسه في المناقصة الثانية المتعلقة بتوريد مستلزمات وأدوية غسيل الكلى. فقد شاركت فيها 11 شركة من بينها 9 شركات فازت بـ38 صنفاً بقيمة تبلغ 2,99 مليون دولار لأنها «العارض الوحيد». وتنافست الشركات المشاركة على 19 صنفاً من الأدوية بقيمة إجمالية تبلغ 970 ألف دولار. وكان لافتاً استحواذ شركة «أبيلا» على 68% من العروض في فئة العارض الوحيد في مناقصة أدوية ومستلزمات غسيل الكلى، ففازت بتوريد 13 صنفاً بقيمة 2,4 مليون دولار، أي 60% من القيمة الإجمالية للمناقصة.

هذه الوقائع تشير إلى أن غياب المنافسة أتى لحساب الاحتكار. فقد تبيّن أن شركات الأدوية التي شاركت في المناقصتين، عمدت إلى إنشاء أخرى مملوكة منها بشكل غير مباشر من أجل دفعها إلى المشاركة في المناقصات لإظهار وجود منافسة وهمية. فعلى سبيل المثال، يتبيّن أن هناك ثلاث شركات مملوكة من مجموع فتال، وهي: شركة خليل فتال، وروغري فتال، سنشري فارما. ومجموعة «HOLMED» تملك ثلاث شركات أيضاً هي: إنترفارما، أبيلا، وفرعون.

ويفسّر المطلعون ما قبل عن انخفاض الأسعار في هاتين المناقصتين، بوجود توجّه جديد لاعتماد جزئي للأدوية الأرخص من دون تدقيق في النوعية أو المصدر، إذ فازت أدوية ذات منشأ هندي وإيراني وتونسي لم يكن لها مكان سابقاً في المناقصات، مثل شركة «LEVANT PULSE» مثلاً التي سجلت وصنّفت في وزارة الصحة 8 أدوية هندية من بينها 6 فازت في المناقصة، علماً بأنّ التسجيل تمّت الموافقة عليه في النصف الثاني من عام 2023.

وإلى جانب ذلك، فإن المشاركة في المناقصتين أصبحت أكثر زخماً من السابق، إذ إنه في السنوات الأولى للأزمة («كانت الصحة تعتمد على طلب عروض الأسعار لتأمين حاجاتها من الأدوية والمستلزمات»، بحسب أحد الصيادلة العاملين فيها. ففي عام 2023، شارك 4 عارضين فقط في المناقصة لأسباب عدة أهمها «عدم تشجّعهم للدخول مع الدولة في معاملات مالية طويلة الأمد، وتخوّفهم من طريقة الدفع»، يضيف المخبر نفسه. وبالفعل كانت هواجسهم في مكانها، فالوزارة لم تدفع حتى اليوم ثمن الأصناف التي سلّمت في حينها، يقول مدير فني لإحدى شركات استيراد الدواء. ولكن يشير عدد من المستوردين اليوم إلى «أنّ هناك مراعاة في تسريع معاملات الدفع، والعقود مع المستوردين وقّعت فعلاً يوم الخميس الفائت في وزارة الصحة».

(هيثم الموسوي)

بالدعم الخارجي
استمرت الطبابة العسكرية

استمرت الطبابة العسكرية في تأمين التغطية الصحية لنحو 350 ألف شخص من العسكريين وذويهم، طوال سنوات الأزمة، ما أثار التساؤلات وسط الانهيار الذي أصاب كل الصناديق الضامنة الأخرى بسبب الأزمة النقدية والمصرفية.

قبل الأزمة، كانت موازنة الاستشفاء تبلغ 138 مليون دولار، ومع انهيار قيمة الاعتمادات التي كانت مخصصة للطبابة العسكرية في الجيش من الموازنة العامة، عمدت المؤسسة إلى الاعتماد على استمرارية الدعم الخارجي بأموال لم تدخل إلى الخزينة العامة، بل صرفت بعيداً من الآليات القانونية المعتمدة في القطاع العام. قصة شراء الجيش للأدوية ومستلزماته الطبية تروى على جزئين، الأول قبل تعمّق الانهيار عام 2020، إذ كان الجيش يدعو المستوردين لمناقصات عامة إلى شراء الأدوية. ويلي تقديم العروض جلسة مناقشة مع ممثلي الشركات العارضة، ويحتمل خلالها أن يقوم الممثلون بتقديم عروض جديدة بأسعار أقل، ومن بعدها تذاع النتائج ويربح الأرخص، من دون أن يخلو الأمر من تسرّب بعض الأسعار للمنافسين ليقوموا بالمضاربة على بعضهم. أما الجزء الثاني، فأتى بعد عام 2020، حينها توقفت المناقصات بعد إعراض الشركات المستوردة عن تقديم العروض بسبب التدهور المستمر في سعر الصرف، وتأخر موعد الدفع عن موعد التسليم. بالتالي، اعتمد الجيش على أموال الدعم، واشترى الأدوية بالمفرّق وبحسب الحاجات من دون المرور بالمناقصات، إنما عبر عروض الأسعار، أو «ميني مناقصة»، بحسب ما يقوله أحد الصيادلة المسؤولين عن توريد الدواء لمصلحة الجيش، على أن يدفع ثمن الأدوية عند التسليم وبالعملة الأجنبية، وفي بعض الأحيان كان يقوم بتحويل الأموال مباشرةً إلى حساب الشركات المصنعة للدواء في الخارج.

تقرير

الجامعة اللبنانية «تصنّع» ألواحاً ذكيةً

بعد مرور 16 شهراً على وصول خط تجميع مكوّنات أجهزة الكمبيوتر المحمولة، والهواتف الذكية، والأجهزة اللوحية إلى الجامعة اللبنانية، أُنجزت الخطوة الأولى من المشروع، وتمّ تركيب آلات الخط المقدّم على سبيل الهبة من مؤسسة طلال أبو غزالة، في كلية العلوم-الفرع الثاني في الفنار. ومطلع الأسبوع الجاري بعد إعلام الجامعة اللبنانية وزارة التربية، وعبرها مجلس الوزراء عن جاهزيتها لتفعيل خط الجمع، تمت الموافقة في جلسة مجلس الوزراء الأخيرة على طلب الجامعة اللبنانية «الموافقة على إجازتها بالتعاقد مع 50 عاملاً في اختصاصات الهندسة، والعلوم، والتكنولوجيا، وإدارة الأعمال، من بين طلبتها وخريجيها بشكل أساسي للعمل في المصنع». ويُذكر أنّ لا تكاليف مادية مترتبة على التوظيف الجديد، وفقاً لما ذكرت الجامعة في رسالتها إلى مجلس الوزراء، لأنّ «النفقات ستُسدَّد من عائدات المشروع».

هذه الصناعة التحويلية التي تعتمد على جمع مكونات الأجهزة، وتركيبها، وبرمجتها، هي الأولى من نوعها في الجامعة اللبنانية، ومن المتوقع إطلاقها في 11 تموز المقبل في كلية العلوم في الفنار، و«أوّل الأجهزة المنتجة ستكون الكمبيوترات اللوحية التي ستوضع في خدمة خطة التحوّل الرقمي للجامعة اللبنانية»، بحسب ممثل شركة طلال أبو غزالة في لبنان برهان الأشقر. ولاحقاً سيقوم خط التجميع ذاته بإنتاج أجهزة الكمبيوتر المحمولة والهواتف الذكية. وحول التكاليف وطريقة تغطيتها، أشار الأشقر إلى «أنّ عائدات المشروع ستوزع بنسبة 60% للمؤسسة، و40% للجامعة اللبنانية، فالواهب تحمّل تكاليف خط التجميع، وسيقوم بتأمين المواد الأوليّة للمصنع، والجامعة قامت بتأمين المكان، وهي بصدد تشكيل فريق العمل الآن»، وهنا لفت الأشقر أيضاً إلى «اكتمال مرحلة تدريب الفريق العامل». وحول احتمال تقادم الأجهزة المنتجة وعدم إيجاد أسواق لتصريفها بسبب مرور أكثر من سنة على وصول الخط إلى لبنان من دون إطلاقه، أكّد الأشقر على «مواكبة المؤسسة لـلآلات بكل جديد، فضلاً عن السعي إلى تسجيل أي أفكار جديدة تحت عنوان اختراع وتحصيل براءة لصاحبها».

ومن جهته، أكّد رئيس الجامعة اللبنانية الدكتور بسام بدران تشغيل خط التجميع بشكل تجريبي، وإنتاج أول نموذج من الكمبيوتر اللوحي. وأضاف بـ«أنّ الجامعة مستعدة لإجراء المقابلات اللازمة لاختيار أعضاء فريق العمل»، وأشار إلى «أنّهم من طلاب وخريجي الجامعة اللبنانية في اختصاصات تكنولوجيا المعلومات والهندسة، فضلاً عن عدد قليل من المحاسبين والإداريين».

وحول طبيعة العقد والأجر الشهري للعاملين، استبعد بدران التعاقد بـ«عقود مصالحة»، متخوّفاً من خسارة الكفاءات في حال الاعتماد على هذا النوع من العقود، وأشار إلى عدم تحديد القرار الوزاري للبدلات الشهرية متوقعاً إقرارها في قرارات تصدر لاحقاً.

(الأخبار)

(هيثم الموسوي)

استراحة

إعداد نعوم مسعود

كلمات متقاطعة 4621

أفقيا

1- وادٍ في جبل الشيخ – 2- ملك صور القديم – من المعادن – 3- من أدوات المطبخ – مقياس بحري – 4- ملكة صور الأسطورية أسست قرطاجة – بركان في إيطاليا – 5- إعتقدت بالله – فكّ العقدة – دسّ الشيء في الأرض – 6- دقّ وفتّ وسحق – جفّ العود – 7- سيّال دهني يُتخذ من بعض الأشجار كالصنوبر والأرز – غرّة القمر – 8- غزال أبيض – منطقة مسكونة – 9- جزيرة يونانية – حرف جر – 10- عاصمة جزيرة كريت

عمودياً

1- من الحيوانات – 2- للتفسير – يعتلي ظهر الحصان – 3- مدينة ألمانية – شعاري – 4- إحدى جمهوريات روسيا تغطي الغابات معظم مساحتها – للمساحة – 5- صادق موثوق به – موز بالأجنبية – 6- شعور – فضح العرض – 7- أصل – للتعريف – أطال استعمال الثوب حتى كاد يُبلى – 8- يسكت – مرتفع من الأرض – 9- ذاكرة وعقل بالأجنبية – إسم بوذا في الصين – 10- محافظة في العراق

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- جيمس دين – دك – 2- وديع – كوربو – 3- رب – الأندلس – 4- جدّات – موت – 5- أبوح – بض – ما – 6- لارسا – خد – 7- رخ – نلسن – وليّ – 8- تيمورلنك – 9- سبي – انس – دا – 10- يوسف شاهين

عمودياً

1- جورج الراسي – 2- يدبّ – باخ – بو – 3- مي – جور – تيس – 4- سعاد حسني – 5- لا – الماش – 6- يُكاتب – سونا – 7- نون – ضخّ – رسه – 8- ردم – دول – 9- دبلوم – لندن – 10- كوستاريكا

sudoku 4621

	1	3	9		4	7	6	
	7			3			4	
		6				3		
7	2						9	8
		4		9		1		
			2		7			
4				2				6
	9		8		3		5	
2		8				9		3

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أو عمودي.

حل الشبكة 4620

2	1	9	6	8	4	5	3	7
4	7	5	2	3	1	8	6	9
3	8	6	7	5	9	1	2	4
6	5	8	9	4	2	7	1	3
1	3	4	8	7	6	9	5	2
7	9	2	3	1	5	6	4	8
5	4	7	1	9	3	2	8	6
9	6	3	5	2	8	4	7	1
8	2	1	4	6	7	3	9	5

مشاهير 4621

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

ممثل كوميدي اميركي ساخر (1926-2010). شارك في الحرب العالمية الثانية
1+2+6+5+11 = شخصية روسية ■ 3+4+7+8 = متحدّر من أسرة شريفة ■ 6+10+9 = مدينة فرنسية

حل الشبكة الماضية: رانيا علواني

طوفان الأقصى

العدو نحو تركّ رفح والتفرّغ للشمال
إسرائيل تستكشف «اليوم التالي»

(أ ف ب)

يسرّع جيش الاحتلال الإسرائيلي وتيرة عملياته في مدينة رفح ومحيطها، جنوبي قطاع غزة، في ظلّ قصف جوي وأرضي وبحري، يطاول معظم أحياء المدينة، وبشكل خاص، الجزء الغربي منها. وفي حين كان متوقعاً أن يُنهي العدو عملياته في المدينة خلال أسابيع عديدة، يبدو الآن أن الأمر لن يستغرق أكثر من أسبوعين إلى ثلاثة. وخلال الأسابيع الماضية، روّج المستوى الأمني في الكيان، لضرورة إعلان انتهاء العمليات العسكرية في القطاع، مع انتهاء عملية رفح، لكن في كل مرة كان يجري فيها هذا الحديث، كان رئيس الحكومة، بنيامين نتنياهو، يتولّى

تُجري إسرائيل اتصالات في المنطقة والعالم لطرح «أفكار» لليوم التالي

قمعه، عبر التأكيد مرة بعد أخرى أن الحرب مستمرّة حتى تحقيق «النصر الشامل». ويبدو أن ما تمّ التوافق عليه أخيراً، بين المستويين الأمني والسياسي، هو الإعلان عن دخول الحرب المرحلة الثالثة، خلال أسبوعين تقريباً، على أن يتزامن ذلك مع دخول إسرائيل «المرحلة الثانية» من التصعيد على الجبهة الشمالية. وبينما تعني المرحلة الثالثة عمليات موضعية وسريعة، على طريقة ما تُعرف بـ«عمليات مكافحة الإرهاب»، فإنه من غير الواضح ما تعنيه بالضبط، المرحلة الثانية ضد لبنان. وعلى أي حال، من الواضح أنه لا يمكن للعدو التفرّغ للقتال في الشمال، قبل أن ينهي العمليات المكثّفة في الجنوب. ولذلك، وبحسب التقارير الإسرائيلية، فإن جيش الاحتلال سيُبقي عدداً من الألوية في منطقة تساريم شمالي قطاع غزة، وفي محور فلادلفيا الحدودي بين مصر والقطاع، إضافة إلى إبقاء عدد «كافٍ» من القوات في المنطقة العازلة على طول حدود غزة، فضلاً عن القوات «المحلية» المكلّفة حماية «الكيبوتسات» والمستوطنات المحاذية للقطاع. ووفقاً للتقارير الأميركية، فقد أبلغ المسؤولون الإسرائيليون، نظراءهم في واشنطن، أن جيش الاحتلال بدأ بتجيير الموارد ونقل المعدّات العسكرية نحو شمال فلسطين المحتلة، تمهيداً لتوسيع المواجهة مع «حزب الله»، في حال فشلت «الدبلوماسية» في التوصل إلى تهدئة هناك. كذلك، أفادت مصادر مصرية مطلعة بأن الاتصالات التي جرت عبر «لجنة التنسيق العسكري»، المعنية باتفاقية كامب ديفيد، تخلّلها حديث المسؤولين الإسرائيليين عن حاجتهم إلى بضعة أسابيع لإنهاء العملية العسكرية في رفح.

وبالتزامن مع الاقتراب من الدخول في المرحلة الثالثة، تُجري إسرائيل اتصالات في المنطقة والعالم، محاولةً طرح «أفكار» تتعلّق باليوم التالي للحرب. وفي هذا السياق، أجرت تل أبيب اتصالاً بأطراف «الساسية العربية»، حيث جرى نقاش حول ما يمكن أن تلعبه هذه الدول من دور في إدارة قطاع غزة بعد الحرب. ومن ضمن الأفكار التي طُرحت، أن ترسل الدول العربية قوات من جيوشها إلى القطاع، وأن تعمل بإشراف «الأمم المتحدة» على بسط الأمن وإدارة توزيع المساعدات، وحتى لاحقاً إعادة الإعمار. وبينما رفضت غالبية الدول المذكورة الانخراط في تلك المهمّة الصعبة، أبدى الأردن والإمارات استعدادهما لنقاش الأمر أكثر، في حين نصحت مصر، الدول الأخرى، بأن لا ترسل ولو جندياً واحداً إلى داخل غزة، إلا ضمن اتفاق شامل وكامل، تكون «حماس» جزءاً منه.

في المقابل، وفي مقابلة صحافية، نُشرت أمس، أجاب نتنياهو عن سؤال حول ما سيحدث بعد نهاية الحرب في غزة، بالقول: «أعتقد أنه سيتعيّن علينا نزع السلاح بشكل مستدام، ويجب أن تكون هناك إدارة مدنية. وأعتقد أنه من الأفضل أن يتمّ ذلك بالتعاون مع الدول العربية». وأضاف: «من ثمّ فإن الشيء الثالث، سيكون نوعاً من عملية القضاء على التطرّف والتي ستبدأ في المدارس والمساجد». وتابع: «النقطة الرابعة ستكون إعادة الإعمار، التي أعتقد أن المجتمع الدولي سيتولّى تنفيذها إلى حدٍّ كبير».

(الأخبار)

نتنياهو يمدّد عمر الحرب: باقية... حتى يعود ترامب!

يحيى دبوق

لا تغيير فعليًا في سياقات الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، ولا في نتائجها: فلا صاحب القرار السياسي يريد إنهاءها ما لم يحقّق «انتصاره المطلق»، ولا العسكر قادرون على تحقيق مثل هذا الانتصار. وفي هذا الوقت، يتفاقم المأزق الإسرائيلي على أكثر من مستوى، إذ بدأت الإنجازات التكتيكية للحرب تتآكل، فيما يتأكد، يوماً بعد آخر، العجز عن تحقيق إنجاز إستراتيجي. وإذ يُقال إن رئيس حكومة العدو، بنيامين نتنياهو، يريد الحرب لذاتها وإنْ راوحت مكانها، في انتظار وصول دونالد ترامب إلى البيت الأبيض - وهو ما لَمّح إليه كبار مستشاريه مقبلة، كذلك، يمثّل هذا الانتظار تهديداً لإدارة الرئيس الأميركي، جو بايدن، وإنْ كان الأخير حريصاً على ألا يؤدّي إسرائيل والإ بضرّ بمصالحها، وهو ما يستغلّه رئيس حكومتها جيّداً، لدفع مصالحه الخاصة قُدماً؛ إذ إن ما من شأنه أن يفرمل نتنياهو ويضغط عليه فعلياً، ليس إزعاجه شخصيًا، بل الإضرار بالكيان ومصالحه، وهو ما لا تريده إدارة بايدن ولا تقوى عليه.

في الوقت نفسه، إن حديث مستشاري نتنياهو عن انتظار ترامب، يُعدّ إقراراً غير مباشر بأن الانتصار في الحرب، كما يروّج له: إنهاء حكم «حماس» والحركة مواصلة الحرب لأشهر طويلة مقبلة، كذلك، يمثّل هذا الانتظار تهديداً لإدارة الرئيس الأميركي، جو بايدن، وإنْ كان الأخير حريصاً على ألا يؤدّي إسرائيل والإ بضرّ بمصالحها، وهو ما يستغلّه رئيس حكومتها جيّداً، لدفع مصالحه الخاصة قُدماً؛ إذ إن ما من شأنه أن يفرمل نتنياهو ويضغط عليه فعلياً، ليس إزعاجه شخصيًا، بل الإضرار بالكيان ومصالحه، وهو ما لا تريده إدارة بايدن ولا تقوى عليه.

في الوقت نفسه، إن حديث مستشاري نتنياهو عن انتظار ترامب، يُعدّ إقراراً غير مباشر بأن الانتصار في الحرب، كما يروّج له: إنهاء حكم «حماس» والحركة نفسها، وكذلك إعادة الأسرى الإسرائيليين عبر الخيار العسكري، لن يتحقّق إلا بعد أشهر طويلة. وهو يمثل إقراراً أيضاً بأن العملية العسكرية في رفح، والتي تركّزت في الوعي الجمعي الإسرائيلي على أنها إشارة النصر، لن تكون مغايرة للمراحل التي سبقتها: العجز عن تحقيق أهداف الحرب. وهكذا، إذا قرّرت إسرائيل مواصلة العملية العسكرية هناك، فستكون النتيجة تهديداً لها، أكثر من كونها فرصة؛ فالضغط العسكري سينتهي من الناحية العملية ومن ناحية التأثير بعد هذه المعركة، فيما ستبقى إسرائيل بلا روافع ميدانية تهدّد بها المقاومة الفلسطينية.

ووفقاً للرئيس السابق لشعبة العمليات في هيئة أركان الجيش الإسرائيلي، اللواء يسرائيل زيف، فإن «طموح نتنياهو للبقاء، بطريقة ما، لسبعة أشهر أخرى في الوضع الحالي، ومن دون أيّ قرار في شأن نهاية الحرب، في انتظار وصول رئيس جديد إلى البيت الأبيض (دونالد ترامب)، هو طموح منفصل تماماً عن واقع خطورة تدهور الوضع. فحتى ذلك الحين، يرجّح أن تؤدي هذه الخطة الخيالية إلى انهيار إستراتيجي. فإسرائيل، في وضعها الحالي، لا تمتلك القدرة على الصمود لثمانية أشهر أخرى، في ظلّ الوضع السيئ الذي يتنفّس فيه الجيش، وفي ظلّ التدهور الاقتصادي والانهيار السياسي الذي يعيشه» الكيان.

«إسرائيل، في وضعها الحالي، لا تمتلك القدرة على الصمود لثمانية أشهر أخرى»

خلافات «عنقودية» تضرب الائتلاف
متاعب «بيبي» تتكاثر

رام الله - أحمد العبد

تتراكم الهزّات التي تضرب الائتلاف الحكومي بقيادة بنيامين نتنياهو، والذي بات مهدّداً بالانهيار أكثر مما كان عليه في أيّ وقت مضى، بعدما أصبحت الخلافات داخله مكشوفة منذ انسحاب عضوَي مجلس الحرب، بيني غانتس وغادي آيزنكوت، والذي جعل نتنياهو عرضة لابتزاز أكبر من قبل أركان ائتلافه من اليمين المتطرّف، سواء حزب «شاس» أو الوزيرين إيتمار بن غفير وبتسلئيل سموتريتش، إلى جانب خلافاته مع أعضاء داخل حزبه «الليكود»، على خلفية القوانين التي يعمل رئيس الحكومة على تمريرها، وأيضاً ما يطفو من مشكلات متراكمة مع المؤسسة العسكرية على السطح. ورغم سعي نتنياهو إلى احتواء الخلافات التي تتهدّد حكومته، لكن ذلك لن يطيل في عمرها سوى قليلاً، قبل أن يعود الصدع ليفرض نفسه بقوّة، نظراً إلى الحاجة إلى اتّخاذ قرارات، ولا سيما ما خصّ العملية العسكرية في رفح.

وإزاء هذا الخلاف، قالت صحيفة «هآرتس»، أمس، إن رئيس الأركان الإسرائيلي، هرتسي هليفي، «بدأ يفقد صبره»، إذ «يريد الجيش الإسرائيلي إنهاء الحرب في غزة، لكن نتنياهو يعطّل لاعتبارات سياسية». ولفتت الصحيفة إلى أن لحظة الحقيقة ستأتي خلال الأسابيع المقبلة، حين ينهي الجيش هجومه على رفح من دون هزيمة حركة «حماس»، وفي ظلّ ارتفاع عدد الجنود القتلى (أُعلن عن مقتل 21 جندياً في قطاع غزة خلال حزيران). وبحسب الصحيفة، فإن الجيش الإسرائيلي يخطّط لتغيير شكل الحرب على القطاع بعد الانتهاء من رفح، وسيطلب من رئيس الحكومة الوصول إلى حالة «وضوح إستراتيجي»، وإنهاء القتال بشكله الحالي، والتركيز على اقتحامات ضدّ أهداف لـ«حماس»، وهو ما يرفضه نتنياهو، كونه لا يحقّق له النصر المأمول. ورأت «هآرتس» أن الهدف الأول لرئيس الحكومة هو البقاء في الحكم، وتجاوز دورة «الكنيست» الصيفية، أملاً في فوز دونالد ترامب في انتخابات الرئاسة الأميركية، كون ذلك يُعدّ أفضل بالنسبة إليه من وقف دائم لإطلاق النار، وفشل الحرب في تحقيق أهدافها، وانسحاب أحزاب اليمين المتطرّف وانهيار الحكومة.

لكن انسحاب أحزاب اليمين، لا يتعلّق فقط باستمرار الحرب من عدمها، بل هناك أسباب أخرى قد تؤدي إلى خروجها، ومنها إصرار إيتمار بن غفير على أن يكون عضواً في ما يعرف بـ«المطبخ السياسي المصغر» الذي حلّ محلّ «مجلس الحرب»، ليكون شريكاً في اتّخاذ القرارات وإدارة الحرب. وبالفعل، لوّح الرجل بالاستقالة من الائتلاف الحكومي، بعد رفضه رشوة من نتنياهو بإشراكه في مجلس جديد سيقوم بإنشائه، قائلاً إنه لن يبقى في حكومة «ترفع الراية البيضاء». أمّا الملف الآخر الذي يهدّد الائتلاف، فيتعلّق بسلسلة قوانين تطالب الأحزاب اليمينية بإقرارها، ومنها «قانون الحاخامات» الذي يدفع في اتجاهه حزب «شاس»، علماً أنه تسبّب في خلافات داخل الائتلاف الحكومي وحزب «الليكود»، اضطرّ نتنياهو على إثرها إلى سحبه قبل التصويت عليه في «الكنيست» بالقراءة الأولى، بداعي عدم وجود غالبية لصلحته. وينصّ مشروع القانون، الذي يعارضه «الليكود» وأعضاء من حزب «عوتسما يهوديت»، على نقل صلاحيات تعيين الحاخامات في المدن، من السلطات المحلية إلى وزارة الأديان التي يتولّاها موشيه ملخيئيلي من «شاس». وفي ضوء سحب المشروع، هدّد «شاس»، «الليكود»، بالقول إن «تفكيك الائتلاف بشكل كامل ليس إلا مسألة وقت»، فيما اتهم رئيسه، أرييه درعي، نتنياهو بأنه «فقد السيطرة على الائتلاف وحكومته تسعى للجمهور الحريدي». وذكرت مصادر عبرية، من جهتها، أن رئيس الحكومة لم ينسّق مع «شاس» في شأن إزالة مشروع القانون عن الأجندة.

وإلى جانب ما تقدّم، يبرز تلويح أعضاء «الكنيست» من الأحزاب «الحريدية» المشاركة في الائتلاف، بإسقاط الحكومة، في ظلّ الخلاف حول «قانون التجنيد» الذي يُبقي على إعفاء «الحريديين» من الخدمة العسكرية الإلزامية، بحسب ما أفادت به «هيئة البث الإسرائيلية». وتفضّل تلك الأحزاب عدم المضيّ قدماً في سنّ القانون في المرحلة الحالية، حتى لو ادى هذا إلى تعليق تمويل الحكومة للمعاهد التوراتية والمدارس الدينية، وذلك بسبب الانقسام الحادّ حول مسألة التجنيد والجدل الذي عاد في شأنها إلى الواجهة في ظلّ الحرب الإسرائيلية على غزة. ونبّه أعضاء «كنيست» «حريديون» إلى أن «قانون التجنيد» أمر «جوهري» من شأنه أن يؤدي إلى إسقاط الحكومة، واعتبروا أن «هذا ليس الوقت المناسب للتعامل مع هذه المسائل»، رغم طلب «المحكمة العليا» من الحكومة تقديم ردّها في شأن القانون، علماً أن المستشارة القضائية للحكومة تعتقد أنه يجب وقف تمويل المعاهد التوراتية والاستعداد لبدء تجنيد «الحريديين» بدءاً من الأول من نيسان المقبل.

أيضاً، ألمح أعضاء «الكنيست» أنفسهم، إلى إمكانية المطالبة بتغيير الحكومة، إذ «يبدو أن حكومة أخرى ستكون أكثر استعداداً للأخذ في الحسبان مطالب الجمهور الحريدي أكثر من الحكومة الحالية»، بحسب ما أوردته «كان 11».

وعلى خلفية ذلك، حذّر وزير القضاء،ياريف ليفين، من الأزمة حول «قانون التجنيد»، تُعدّ «حدثاً كارثياً» يهدّد استقرار الحكومة وجماهيرية «الليكود»، داعياً هذا الأخير إلى الوفاء، بالوعود التي قطعها لـ«الحريديين» في الاتفاقات الائتلافية من جهة، مع إقراره بأنه سيترتّب على هذا «ثمن سياسي كبير»، لأن ناخبي «الليكود» يرفضون مواصلة إعفاء اليهود المتدينين من الخدمة العسكرية. وقال ليفين: «لسنا في مأزق سياسي، هذا حدث كارثي حقيقي. حتى نحن (ناخبو الليكود) لا نقبل عدم تجنيد الحريديين في صفوف الجيش، إنها ليست مسألة يمين أو يسار. نحن في وضع صعب جداً. لا يمكن ترك الأمر هكذا من دون قانون. نحن لا نتهرّب من رغبتنا والتزامنا بحلّ هذه القضية، لكنني أعرف أن السعر الجماهيري سيكون رهيباً». وكان قد أثار القانون المذكور بلبلة داخل حزب «الليكود»، إذ رفضه وزير الأمن يوآف غالانت، فيما أخطر وزير الاقتصاد نير بركات، نتنياهو، بأنه وأعضاء «كنيست» آخرين من حزبه يعتزمون معارضته، ليردّ «الليكود» على بركات، متّهماً إيّاه بأنه «يبحث عن أعذار لإسقاط حكومة يمينية خلال الحرب».

أميركا بمواجهة «الشغب» الإسرائيلي: الازدواجية خياراً ثابتاً

خضر خروبي

شكّل الدعم العسكري الأميركي لإسرائيل أحد أبرز تجلّيات النهج السياسي المزدوج الذي اتبعته إدارة الرئيس جو بايدن حيال الحرب على غزة. وإذا كان «القصف الكلامي»، في السرّ والعلن، من جانب أركان الإدارة الأميركية، والموجه ضدّ رئيس حكومة الاحتلال، بنيامين نتنياهو، على خلفية اتّهام الأخير واشنطن بـ«التقصير» في دعم تل أبيب عسكرياً كما يشتهي «بيبي»، يندرج ضمن «دبلوماسية الحرد» التي دأبت عليها الإدارة الديموقراطية تجاه حليفتها، فإن توجه كبار قادة الحزب الديموقراطي في مجلسَي النواب والشيوخ إلى إلغاء اعتراضهم على صفقة طائرات «F-15» لصالح إسرائيل، هي الأكبر على الإطلاق في تاريخ العلاقات الثنائية، يحمل دلالات في اتجاه معاكس. والمنطق نفسه ينطبق على التسريبات في شأن إلغاء إدارة بايدن اجتماعاً إستراتيجياً ثنائياً مع الجانب الإسرائيلي، بسبب انتقادات نتنياهو لسياسة بايدن، علماً أن واشنطن استضافت، خلال الساعات الماضية، وزير الشؤون الاستراتيجية رون ديرمر، ومستشار الأمن القومي تساحي هنغبي.

كلام نتنياهو: أي أثر على «الردع» الإسرائيلي والعلاقات مع أميركا؟

على مدى الأيام القليلة الماضية، كان كلام نتنياهو، الذي احتج فيه على تعليق إدارة بايدن إرسال شحنة سلاح واحدة من القنابل الثقيلة كانت مقرّرة للجيش الإسرائيلي، محور اهتمام وسائل الإعلام الأميركية، ولا سيما لناحية تداعياته المحتملة سواء على العلاقات بين واشنطن وتل أبيب، أو على صورة «الردع» الإسرائيلي. وفي هذا الإطار، نقل موقع «أكسيوس» عن مسؤولين أميركيين، تأكيدهم أن «الخلاف المستجد بين نتنياهو وإدارة بايدن من شأنه أن يعيق الجهود الدبلوماسية (التي تقودها الولايات المتحدة)، والرامية إلى تهدئة التوترات على الحدود اللبنانية، وتجنّب وقوع حرب مع حزب الله»، وأن «تصرفات نتنياهو، التي تنطلق من اعتبارات مصالحه السياسية الخاصة، من شأنها أن تحدث شرخاً في أسس العلاقات بين الحليفين الاستراتيجيَّين، ومزيداً من التآكل في قوة الردع الإسرائيلية في عموم المنطقة بصفة عامة، وفي منظور زعيم حزب الله (السيد حسن نصرالله)، وداعميه الإيرانيين، بصفة خاصة».

أشار بلينكن إلى أن «التحالف الأمني» بين واشنطن وتل أبيب يتخطّى خلافاتهما في شأن حرب غزة

وعلى رغم إشارة وزير الخارجية الأميركي، أنتوني بلينكن، إلى أن «التحالف الأمني» بين واشنطن وتل أبيب، يتخطّى خلافاتهما في شأن حرب غزة، ويتعدّاها نحو مجابهة التحديات المتصلة بإيران وحلفائها الإقليميين، رجّح الموقع، نقلاً عن المصادر نفسها، أن «تَحَجّم» الخلافات الحالية على جهود التنسيق في شأن مواجهة إيران و«حزب الله» خلال الاجتماعات المقرّر انعقادها بين مسؤولين أميركيين وإسرائيليين في الفترة المقبلة، ومن بينها لقاءات سيعقدها وزير الأمن الإسرائيلي، يوآف غالانت، في واشنطن الأسبوع المقبل. وبحسب الموقع الأميركي، فإن

أشار بلينكن إلى أن «التحالف الأمني» بين واشنطن وتل أبيب يتخطّى خلافاتهما في شأن حرب غزة

تصريحات نتنياهو ربما كانت تأتي في جانب منها، بدافع «المنافسة مع (الإسرائيلي) -»، الذي يتطلع إلى إقناع نظرائه الأميركيين بالإفراج عن شحنة السلاح المعلّقة من جانب واشنطن، والتي تشمل نحو 3500 قنبلة، معظمها زنة 2000 رطل، وهو ما يعني محاولة الأول، وبصورة استباقية، نسف الفضل إلى نفسه إزاء أي تقدّم يحرزه الثاني في ملف شحنة القنابل المشار إليها.

في المقابل، ووفقاً لمصادر أميركية مسؤولة، فإن واشنطن لا تزال تصرّ على ربط مصير تلك الشحنة، بوقف العملية العسكرية الإسرائيلية في رفح. وبدورها، ترى صحيفة «نيويورك تايمز» أن ما جاء على لسان نتنياهو يحمل دلالات على تبنّيه «استراتيجية ذات طابع قتالي، تعكس حاجته إلى أن يوازن بين اعتبارات متضاربة، تقوم في شقّها المحلي على رغبته في الظهور بمظهر المدافع عن إسرائيل في وجه الغضب العالمي المتصاعد ضدّها بسبب حرب غزة، وحرصه على ضمان روابطه الوثيقة بحلفائه من تيار اليمين المتطرف، فيما تقوم في شقّها الخارجي على خوض معركة سياسية حادة وعالية المخاطر مع إدارة بايدن، التي وفّرت له الغطاء السياسي لحملته العسكرية في غزة».

ملف تسليح إسرائيل: الضغوط من بايدن أم عليه؟

يأتي ذلك في ظلّ ضغوط متزايدة تُمارَس على بايدن من قِبَل الجمهوريين، وتحديداً في ملفّ شحنة القنابل الثقيلة، إذ اعتبر زعيم الأقلية الجمهورية في مجلس الشيوخ، ميتش ماكونيل، أن قرار البيت الأبيض في هذا الخصوص «قد جعل مهمّة إسرائيل (في قطاع غزة) أكثر صعوبة»، مشدّداً على أن حكومة نتنياهو «تحتاج إلى أن تُعطى الهامش والمساحة اللازمَين لإنهاء تلك المهمّة، مع ضمان تمتّعها بحرية العمل ضمن جدولها الزمني الخاص، وفقاً لما يُمليه الواقع التكتيكي في الشرق الأوسط، وليس وفقاً لما تشتهيه الرياح السياسية في واشنطن». ومن هنا، عاد الحديث عن نية الإدارة الأميركية تمرير صفقة 50 طائرة من طراز «F-15» لحساب إسرائيل، بعد عدول كل من غريغوري ميكس، وهو أحد أبرز أعضاء الحزب الديموقراطي في «لجنة الشؤون الخارجية» في مجلس النواب، وينجامين كاردين، رئيس اللجنة، عن معارضتهما في وقت سابق التوقيع على الصفقة، المقدّرة قيمتها بـ18 مليار دولار، على خلفية احتجاجهما على الأداء العسكري الإسرائيلي في حرب غزة. وبحسب محلّلين، فإن المفارقة هي أن موافقة الرجلين على الصفقة، التي تحظى بتأييد واسع من الجمهوريين، جاءت استجابة لضغوط مارسها بايدن نفسه عليهما.

ومع ذلك، يدرج هؤلاء المحلّلون ضغوط بايدن في خانة «الازدواجية المالوفة» التي يتعاطى بها الرجل مع رئيس حكومة الاحتلال، كونه يستهدف استمالة اللوبي الصهيوني الداعم لإسرائيل لتعزيز فرصه في الانتخابات الرئاسية المقبلة، من جهة، فضلاً عن حاجته الشخصية والسياسية إلى توجيه رسائل امتعاض من «بيبي» ومضايقته في ملف التسليح من جهة أخرى، وذلك انطلاقاً من قناعة بدأت تتشكّل لدى أركان إدارته بضرورة وقف الحرب على غزة. والجدير ذكره، هنا، أنّ تمرير صفقة الطائرات بصورة رسمية ونهائية يتطلب مساراً رقابياً وبيروقراطياً طويلاً سواء داخل أروقة وزارة الخارجية، أو داخل الكونغرس، واللجان المعنية كلجنة القوات المسلحة وغيرها، وهو مسار قد يمتد لسنوات، الأمر الذي سبق أن أقر به ميكس، حين أكد مواصلة دعمه استمرار البيت الأبيض في تأجيل توريد شحنات أسلحة إلى الجانب الإسرائيلي بدعوى «مواصلة الضغط على إسرائيل لحثّها على إجراء تحسينات كبيرة وملموسة على مختلف الصعد، وخصوصاً على صعيد جهود الدعم الإنساني (في غزة)، والتخفيف من حصيلة القتلى المدنيين هناك». وينطلق مراقبون للشأن الأميركي من التصريحات الصادرة أخيراً عن كبار المسؤولين في إدارة بايدن بحقّ نتنياهو، في موازاة ما يظهره أعضاء كونغرس بارزون عن الحزب الجمهوري من رغبة في الدفاع عنه، على وقع استعدادهم للاستماع إلى كلمة مرتقبة له تحت قبة «الكابيتول» الشهر المقبل، للتدليل على مدى عمق الانقسامات الحزبية في الولايات المتحدة، والتي باتت تتمحور يوماً بعد يوم حول حرب غزة، والموقف من حكومة نتنياهو.

لمة ضغوط متزايدة تُمارس على بايدن من قِبَل الجمهوريين، وتحديداً في ملف شحنة القنابل الثقيلة (أ ف ب)

طوفان الأقصى

لا خطوط حمراً أمام الاحتلال
محرقة خيام جديدة في رفح

غزة - **يوسف فارس**

أنهى جيش الاحتلال تكتيك التقدم البطيء والحذر الذي اعتمده في بداية عمليته البرية في مدينة رفح جنوبي قطاع غزة، ولم يعد يقيم أي وزن لخطوط الإدارة الأميركية الحمر، إذ ارتكب العدو، مساء أمس، مجزرة جديدة طاولت خيام النازحين في منطقة المواصي غربي المدينة، والتي لجأت إليها الآف العائلات التي تركت شرقي رفح أولاً، ثم وسطها، تحت دوي المدافع. ولم يكلف جيش الاحتلال نفسه هذه المرّة إلقاء منشورات تطالب الأهالي بالنزوح مجدداً، حيث اعتلت الدبابات تلة رملية غرب الحي السعودي تكشف منطقة الخيام، وبدأت بالقصف العنيف والمباشر، مستهدفة العائلات التي تسكن الخيام. وأظهرت المشاهد التي نقلها الصحافيون من هناك، العشرات من الخيام التي احترقت بمن يسكنها، وعدداً كبيراً من الجثامين المتفحمة، بينما كان الأهالي يحاولون إطفاء النار بالرمال، وما توفر من المياه. ووسط ذلك، فرّت مئات العائلات من دون أن تتمكن من حمل أي أغراض، ولا حتى الملابس. ولاحقاً، أعلنت وزارة الصحة أن القصف المدفعي على مواصي رفح، تسبّب باستشهاد 30 مدنياً وإصابة العشرات، فيما تجاوزت حصيلة المجازر الجماعية خلال يوم واحد الثمانين شهيداً، ومئات الجرحى. المجزرة هذه المرة، مرّت مرور الكرام، فلم تصدر أي جهة عربية أو دولية من التي فتحت عيونها لرصد ما يجري في رفح، أي بيان شجب أو استنكار. وهذا يدل على أن إسرائيل عرفت الطريقة التي تسكت بها كل الأصوات، وهي تكرار الشيء نفسه، وتحميل الإدانة مرة أو مرتين، ثم صناعة الاعتياد الجمعي على الحدث. هكذا، تستمر المذبحة في المدينة التي كانت تؤوي أكثر من مليون نازح، ووقفت «إنسانية» المجتمع الدولي لأجلها على أصابع قدميها. وخلال أكثر من 40 يوماً من العملية البرّية في رفح، دمر جيش العدو نحو 50% من منازل المدينة بشكل كلي، ومسّ بالبنى التحتية فيها، وحوّلها إلى مدينة أشباح أسوة بكل مكان مرّت فيه دباباته، فيما يدور جدل بارد في أروقة القرار الأميركي حول إن كانت إسرائيل تجاوزت الخط الأحمر أم لا.

ماذا عن مصير النازحين الذين تجاوز عددهم المليون في رفح، والذين خرجوا من كل الحسابات؟ لقد هُجّروا جميعاً إلى المجهول، حيث اندفع الناس وسط ظروف شديدة القسوة إلى مواصي المدينة ظناً منهم أن التجمع البشري الأكبر، سيبقى خارج حدود النار. ويقول نبيل سعد الله، وهو نازح من شمال القطاع إلى جنوبه، في حديث إلى «الأخبار»: «إننا أُخرجنا منذ بداية الحملة على رفح، تُحت تهديد القصف. نزحنا إلى مواصي خانيونس، إلى العراء، تحت أشعة الشمس الحارقة. لم نجد خيمة. وبتنا عشرة أيام في العراء، ثم اشترينا ما وجدنا من نايلون وأقمشة، ومنها صنعنا خيمة. نشعر بأننا نبيت في غابة. تدخل إلى الخيمة العقارب والحشرات، وتحرقنا الشمس والحرارة المضاعفة في ساعات الظهيرة، ويقرسنا البرد مع ساعات الفجر».

أما في مدينة خانيونس المدمرة، التي عادت تكتظ بمئات الآلاف من النازحين، فإن الوضع لا يقل سوءاً عنه في رفح. ويقول أحمد عبد اللطيف الذي نزح من مدينة بيت لاهيا إلى منطقة العودة في رفح، ومنها إلى تل السلطان ثم حي الأمل في خانيونس، لـ «الأخبار»: «لا توجد مياه ولا شبكة صرف صحي ولا كهرباء في المدينة. لا تجد إبرة أو عود ثقاب. المدينة عبارة عن خربة اضطر الناس للعودة إليها بعدما انعدمت الخيارات. نعيش حياة بدائية بكل ما تحمله الكلمة من معنى». ويغيب ما تقدم من تفاصيل عن معايير الخطوط الحمر. وتغيب رفح، كما كل المناطق، بحكم الاعتياد، عن خطابات الأطراف الداعمة للعدو، فيما الحاضر الوحيد في المشهد، هو آلة الخراب والموت الإسرائيلية، والتي تمارس سلوكها ذاته منذ قرابة التسعة أشهر، ويفشل الجميع في كبحها.

مجزرة رفح الجديدة تمرّ حتى من دون إدانات عربية ودولية (أ ف ب)

> دفّر جيش العدو خلال أكثر من 40 يوماً من العملية البرّية في رفح، نحو 50% من المنازل بشكل كلي

«الدفاع المدني» في غزّة: معركة يومية باللحم الحي

غزة - **هداية محمد التتر**

يواجه جهاز الدفاع المدني في قطاع غزة أزمة وقود حادّة، فيما باتت طواقمه البشرية مستنزفة ومعداته متهالكة. ومع ذلك، فهو لا يتوقف عن العمل في ظل استمرار الحرب الإسرائيلية على القطاع، منذ السابع من أكتوبر الماضي. ويقول المتحدث الرسمي باسم «الجهاز»، الرائد محمود بصل، في حديث إلى «الأخبار»، إن «الدور الأساسي لعمل طواقم الدفاع المدني في الوضع الطبيعي هو التدخل وقت الأزمات والكوارث»، فيما أصبح في الوضع الحالي في غزة «مختلفاً تماماً نتيجة كثافة الأحداث والاستهدافات، حيث تمّ استنفار جلّ الطواقم الموجودة في الميدان، وتحوّل مستوى الجهوزية إلى حالة الطوارئ». ويشير إلى أن الجهاز «يعمل على مدار الساعة لتلبية نداءات استغاثة المواطنين الذين يتم استهدافهم من قبل قوات الاحتلال، وكذلك في البحث عن ضحايا المقابر الجماعية وجرائم الإبادة الجماعية التي يرتكبها الاحتلال بحق المدنيين». ويلفت إلى أن الطواقم تواجه «صعوبات جمّة نتيجة استهداف الاحتلال لكوادر الدفاع ومعداته وسياراته»، محذّراً من أن ذلك سيؤدي إلى «كارثة وجريمة بحق الإنسانية».

ومنذ ما قبل الحرب، كان الجهاز يعاني من قلة الإمكانات؛ إذ إنه يعتمد في عمله على سيارات متقادمة تجري صيانتها بشكل دائم، وذلك بسبب منع الاحتلال إدخال سيارات جديدة إلى القطاع، لباقي العدوان ويجهز على ما تبقّى لديه من إمكانات، الأمر الذي صعّب من «أداء عملنا، خاصة أن هذه الحرب تختلف عن سابقاتها من الحروب، من حيث الأهداف ونوعيتها وكمية الأسلحة المميتة المستخدمة فيها». ويوضح أنه «حدث عدة مرات، وأثناء توجّهنا إلى المهمة، أن تعطلت سيارة الدفاع المدني، ما أدى إلى خروجها من الخدمة لعدم وجود محال للصيانة في الوقت الحالي»، فضلاً عن نقص الوقود الذي تسبب بتوقف سيارة أخرى عن العمل، ودفع بفريق الدفاع المدني إلى ركوب سيارة مدنية ومن ثم الوصول سيراً على الأقدام»، علماً أن «الجهاز بحاجة يومياً إلى 300 ليتر وقود كي يستطيع ممارسة مهامه».

ويشير بصل إلى أن «الخروج إلى المهام أصبح محدوداً ومحسوباً بكمية الوقود المتوفّرة لدينا»؛ ولذا، «عند وصول بلاغ، لا نتحرك قبل أن نعرف ما إن كان هناك أحياء أو شهداء فقط». ويضيف أن من بين الصعوبات التي تواجههم أثناء العمل «عدم توفر معدات تخصصية لانتشال وانتشال المصابين كجهاز كاشف الأحياء تحت الأنقاض»، قائلاً: «نسمع أصوات الآلاف من المصابين واستغاثاتهم من تحت الأنقاض، ولكن بعد لحظات من البحث والحفر يختفي الصراخ، ورغم ذلك نكمل المهمة لنجد أن المصاب فارق الحياة». ويؤكد أنه «لو كانت لدينا كل مستلزمات الإنقاذ، لاستطعنا إنقاذ الكثير من المصابين»، لافتاً إلى أن «آخر تلك النداءات كان من شخص نجا فيما عائلته المكوّنة من 30 شخصاً ما زالت تحت الأنقاض».

وحول استهداف الاحتلال لطواقم الإسعاف والكوادر الطبية، يلفت بصل إلى أن «هناك تعمّداً واضحاً في استهداف كل من يقدّم الخدمة لإنقاذ حياة المواطنين، سواء كان الدفاع المدني أو الكادر الصحي أو الإسعاف، وتدمير مقدراتهم وإمكاناتهم لإخراجهم من الخدمة»، مستشهداً على ما سبق بالقول إن «غزة وحدها كانت فيها 15 سيارة دفاع مدني، لم تتبقَّ منها سوى 3 سيارات، وما تبقّى تمّ تدميره بالصواريخ وهو في الموقع أو ميدان العمل، فضلاً عن تدمير الحفارات والجرافات وقتل سائقيها لمنع إنقاذ المصابين». ومن بين السيارات التي دُمرت، «سيارة العيادة الكبيرة للإسعاف والطوارئ، وسيارة السلم الهيدروليكي التي تفوق تكلفتها المليون دولار، وهي واحدة من سيارتين فقط في القطاع».

> طواقم الدفاع المدني قدّمت 70 شهيداً و200 جريح منذ السابع من اكتوبر

ويتابع أن طواقم الدفاع المدني قدّمت 70 شهيداً و200 جريح منذ السابع من أكتوبر، فيما «لم تسلم عائلات الطواقم من الاستهداف أيضاً». ويلفت النظر أيضاً إلى الانعكاس النفسي على الطواقم؛ «فكل يوم نتعامل مع جثامين شهداء وأطفال ونساء مبتوري الرؤوس والأطراف، أو أحشائهم خارج أجسادهم. وفي بعض الأحيان يبكي الشباب بشكل لا إرادي من هول ما يرون من فظائع وجرائم بحق الإنسانية».

ورغم أنه يقع على عاتق «الصليب الأحمر الدولي» التنسيق بين جهاز الدفاع المدني والطرف الإسرائيلي، كي يتمكن الجهاز من الوصول إلى الحالات التي تكون تحت سيطرة الاحتلال، «يرفض الاحتلال في بعض الأحيان التنسيق مع «الصليب الأحمر»»، وفقاً لبصل، الذي يضيف أن(نا) «نشعر أن التنسيق كان مسموماً بسبب استهداف الاحتلال لطواقمنا والهلال الأحمر، مثلما حدث مع الطفلة هند في المنطقة الصناعية، حيث تمّ قنص سائق الإسعاف الطواقم من الاستهداف أيضاً».

ويلفت النظر أيضاً إلى الانعكاس النفسي على الطواقم؛ «فكل يوم نتعامل مع جثامين شهداء وأطفال ونساء مبتوري الرؤوس والأطراف، أو أحشائهم خارج أجسادهم. وفي بعض الأحيان يبكي الشباب بشكل لا إرادي من هول ما يرون من فظائع وجرائم بحق الإنسانية».

ورغم أنه يقع على عاتق «الصليب الأحمر الدولي» التنسيق بين جهاز الدفاع المدني والطرف الإسرائيلي، كي يتمكن الجهاز من الوصول إلى الحالات التي تكون تحت سيطرة الاحتلال، «يرفض الاحتلال في بعض الأحيان التنسيق مع «الصليب الأحمر»»، وفقاً لبصل، الذي يضيف أن(نا) «نشعر أن التنسيق كان مسموماً بسبب استهداف الاحتلال لطواقمنا والهلال الأحمر، مثلما حدث مع الطفلة هند في المنطقة الصناعية، حيث تمّ قنص سائق الإسعاف الطواقم من الاستهداف أيضاً».

ويلفت النظر أيضاً إلى الانعكاس النفسي على الطواقم؛ «فكل يوم نتعامل مع جثامين شهداء وأطفال ونساء مبتوري الرؤوس والأطراف، أو أحشائهم خارج أجسادهم. وفي بعض الأحيان يبكي الشباب بشكل لا إرادي من هول ما يرون من فظائع وجرائم بحق الإنسانية».

ورغم أنه يقع على عاتق «الصليب الأحمر الدولي» التنسيق بين جهاز الدفاع المدني والطرف الإسرائيلي، كي يتمكن الجهاز من الوصول إلى الحالات التي تكون تحت سيطرة الاحتلال، «يرفض الاحتلال في بعض الأحيان التنسيق مع «الصليب الأحمر»»، وفقاً لبصل، الذي يضيف أن(نا) «نشعر أن التنسيق كان مسموماً بسبب استهداف الاحتلال

المقاومة العراقية تلوّح بكسر الهدنة: مفاوضات «الانسحاب» مضيعة وقت

بغداد - **فقار فاضل**

أكّدت مصادر في «المقاومة الإسلامية في العراق»، لـ«الأخبار»، أن فصائل المقاومة ناقشت، خلال اجتماع لممثليها أخيراً، انتهاء مدة الهدنة التي مُنحتها قبل أربعة أشهر للقوات الأميركية، انتظاراً لنتائج المحادثات الأميركية - العراقية حول انسحاب تلك القوات من البلاد، مشيرة إلى أن المجتمعين تحدّثوا عن توجّه إلى كسر هذه الهدنة، نتيجة إصرار واشنطن على إبقاء قواتها في العراق، وخاصة بعد تصريحات مرشّحة الرئيس الأميركي، جو بايدن، لمنصب السفير الأميركي لدى بغداد، تريسي أن جاكوبسون، والتي اعتبرتها الحكومة العراقية والقوى السياسية تدخّلاً في شؤون البلاد. وعقد ممثلو فصائل المقاومة اجتماعاً استثنائياً، مساء الأربعاء الماضي، للتباحث بشأن وجود القوات الأميركية في العراق. وقال بيان صادر عنهم إن «التنسيقية المقاومة العراقية» ناقشت الفرصة التي منحتها الفصائل للحكومة قبل أكثر من أربعة أشهر، والمتضمّنة جدولة الانسحاب الأميركي من البلاد. وشدّد المجتمعون على «ضرورة الاستمرار في السير لتحقيق سيادة البلاد، بعد مماطلة العدو وتعنّته، ليبقى محتلاً لأرضنا، ومستبيحاً لسمائنا، ومتحكّماً بالقرار الأمني والاقتصادي، ومتدخّلاً في الشأن العراقي بكل استهتار وغطرسة، وكأنه لا يعلم ما ينتظره بعد هذه الفرصة». وأكّد البيان إصرار «التنسيقية» على إنهاء الوجود الأميركي، مضيفاً أن «الشعب العراقي، ومقاومته، والمخلصين من السياسيين، ورجال العشائر، ونواب الشعب، قادرون ومصرّون على إنهاء هذا الملف المتلاحقة مع إيران»، مضيفة أن بلادها لن تسمح «لإيران باستخدام الغاز المورّد لتشغيل المحطات، كسلاح ضد العراق».

وفي السياق ذاته، يؤكد المتحدث باسم «كتائب سيد الشهداء»، كاظم الفرطوسي، أنّ «المقاومة العراقية تنظر إلى المصلحة وإلى الظروف التي تتحرّك فيها، وبالتالي متى ما كانت هناك مصلحة في مواجهة الأميركيين في هذا الوقت أو في وقت آخر، فهي ستقرّر ذلك بإرادة منفردة». ويشير، في تصريح إلى «الأخبار»، اعتبرت، في إفادة أمام لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ، أن «إيران ممثل خبيث في العراق ومزعزع لاستقرار المنطقة وتُدرك أن التهديد الرئيسي للعراق هو الميليشيات إغلاقه، باستعمال جميع السُّبل المتاحة، لإعادة الأمن والاستقرار، وتحقيق السيادة الكاملة».

وبالعودة إلى حديث المصادر، فهي أوضحت أن كلام مرشحة بايدن لمنصب سفارة واشنطن لدى العراق، واشتعال جبهة جنوب لبنان، هما اللذان أخرجا المقاومة عن صمتها، إلى جانب هزال المباحثات التي تجريها حكومة بغداد مع واشنطن، وانعدام النتائج الملموسة في ملف إخراج القوات الأميركية عبر القنوات الدبلوماسية. وكانت جاكوبسون قد إلى أنّ «هناك مهلة للجنة التفاوض العراقية مع الولايات المتحدة، وحتى الآن لم يعلموا الناس بنتائج هذه المفاوضات، وما إذا كانت انتهت أو توقفت، وبالتالي بعد المهلة المحدّدة سيكون الأمر للمقاومة». كما يؤكد «أننا سنكون جاهزين للرد على أي عدوان أميركي أو استهتار بالسيادة وبالدماء العراقية»، معتبراً أنّ «تصريحات مرشحة واشنطن كانت تدخّلاً في الشأن العراقي واستهتاراً»، مضيفاً أن «السفيرة المرشحة تؤسّس لعملية ليست دبلوماسية أو مبنية على احترام السيادة العراقية، وبالتالي وزارة الخارجية هي المعنية برفض اعتمادها، ولذلك نحن لن نعبأ بها وبتصريحاتها، كما لم نعبأ بغيرها من قبل».

(من الويب)

تقرير

واشنطن تشدد الضغوط الاقتصادية: مطار صنعاء مهدّد بالإغلاق

صنعاء - **رشيد الحداد**

رغم تحذيرات المبعوث الأممي لدى اليمن، هانس غروندبرغ، في آخر إحاطة له أمام مجلس الأمن، الأسبوع الماضي، من خطورة التصعيد الاقتصادي الذي تقوده الحكومة الموالية للتحالف السعودي - الإماراتي بضوء أخضر أميركي، على مسار السلام، إلا أن تلك الحكومة تواصل استفزاز صنعاء بإجراءات جديدة، آخرها فرض قيود على حجوزات شركة طيران «اليمنية» من مناطق سيطرة «أنصار الله»، ونقل الحجوزات إلى مدينة عدن ومصر والأردن. ووصفت حكومة الإنقاذ ذلك الإجراء بـ«التعسفي»، واعتبرت أنه يأتي في إطار التصعيد الأميركي الذي يُنفَّذ عبر «أدوات التحالف» في عدن، مضيفة أن هذه الخطوات التي تهدّد بنسف الهدنة الإنسانية وإعادة الأوضاع إلى ما قبل الثاني من نيسان 2022، تهدف بوضوح إلى إغلاق مطار صنعاء وحرمان اليمنيين من السفر إلى الخارج، وتكبّد «اليمنية» خسائر فادحة، إذ بعدما كانت مكاتب الشركة في العاصمة تواجه ضغطاً كبيراً نتيجة ارتفاع الطلب على السفر من اليمنيين المرضى والطلاب في الخارج ورجال الأعمال، صارت شبه مغلقة بفعل تجميد البيع لتذاكر الطيران فيها.

ونتيجة لذلك، أقلعت آخر رحلات «اليمنية»، فجر أول من أمس، من مطار صنعاء إلى مطار الملكة علياء في الأردن وعلى متنها 12 راكباً فقط، للمرة الأولى منذ عودة الرحلات منتصف عام 2022، كثمرة من ثمار الهدنة الإنسانية. وأكد مصدر مطلع في مطار صنعاء، لـ«الأخبار»، حرمان نحو 170 يمنياً من المغادرة على متن الرحلة الأخيرة إلى الأردن، منهم عدد كبير من المرضى الذين تستدعي حالتهم الانتقال للعلاج في الخارج من دون تأخير، مشيراً إلى أن فرض قيود على المواطنين من قبل حكومة أحمد بن مبارك يتنافى مع الأعراف الإنسانية، كونه يستهدف إغلاق وجهة السفر الجوية الوحيدة التي يستخدمها الآلاف من اليمنيين.

وحذّر المصدر من تداعيات إقحام «اليمنية» في الصراع، وتحويلها إلى أداة من أدوات الحرب الاقتصادية التي تقودها الولايات المتحدة ضد اليمن. وكان أثار القرار موجة سخط شعبي ونقابي واسعة النطاق، واعتبرته نقابة شركات السفر في صنعاء خطوة تدميرية تستهدف سوق السفر برمته، وتعرّض عشرات المكاتب والشركات العاملة في هذا القطاع للإفلاس.

وفي المقابل، دافعت وزارة النقل في عدن، في بيان، بأن «هذه الإجراءات لا علاقة لها بأي خلافات مالية بين فروع الشركة في عدن وصنعاء، وأنها تأتي في إطار خطة الحكومة (الموالية للتحالف) لنقل المؤسسات الخدمية كافة من صنعاء إلى عدن، وتنفيذاً لذلك تسعى إلى نقل مكاتب شركة طيران اليمنية كافة». ورغم ذلك، لجأت إدارة «اليمنية» في عدن إلى تسويق ذريعة أخرى، متهمة حكومة صنعاء بحجز إيراداتها من مبيعات التذاكر في المناطق الخاضعة لسيطرتها. وأشارت، في بيان، إلى أن «صنعاء تحتجز الطائرة التي تحمل اسم «عدن» وتتسع لـ 277 راكباً، وتمنع الشركة من إصلاحها».

واعتبرت أن «المشكلات التي تواجه الشركة يمكن معالجتها عبر إفراج صنعاء عن الأموال المحجوزة وتحويل قيمة المحركات لصيانة الطائرة المحتجزة». إلا أن مصدراً مسؤولاً في هيئة الطيران المدني في العاصمة نفى تجميد أرصدة الشركة، ونقلت وكالة الأنباء الرسمية «سبأ» - نسخة صنعاء - عنه تأكيده أن التصرف بأرصدة الشركة في البنوك التجارية في صنعاء يجري من قبل رئيس مجلس الإدارة والقائم بأعمال مجلس الإدارة هناك، وفقاً لما تقتضيه مصلحة الشركة.

والمفارقة أن «اليمنية» تسيّر رحلات يومية من مطار عدن إلى القاهرة وعمّان، بالتزامن مع رحلات موازية تقوم بها من مطار سيئون الدولي في وادي حضرموت، وتجني الكثير من الإيرادات كونها تعمل بلا منافسة، مقابل ست رحلات تجارية شهرياً من مطار صنعاء إلى مطار الملكة علياء. إلا أن فرع الشركة في صنعاء هو الذي موّل رواتب موظفيها بمقدار مليوني دولار شهرياً خلال السنوات الماضية في جميع المحافظات اليمنية، فضلاً عن قيامه بدفع نحو 36 مليون دولار لمواجهة النفقات التشغيلية وفقاً لتقارير رسمية صادرة عن وزارة النقل في حكومة الإنقاذ، ودفع ثمن إحدى الطائرات التي قامت «اليمنية» بشرائها قبل عام، وهي من نوع «أيرباص 320»، بحسب اتفاق سابق بين فروع الشركة التي يملك اليمن 51% من أسهمها، مقابل 49% تملكها السعودية منذ أواخر ثمانينيات القرن الماضي.

وفي هذا الإطار، أكد مصدر حكومي في صنعاء، لـ«الأخبار»، أن هناك اتفاقاً جرى مع إدارة الشركة في عدن، يقضي بالصرف من جميع الحسابات التابعة لها سواء أكانت في صنعاء أم في عدن، وكذلك حساباتها الخارجية كافة بنسب محددة، موضحاً أن الشركة تعمّدت إخفاء أرصدتها في عدن وفي الخارج، والتي تتجاوز الـ 100 مليون دولار، خلال العامين الماضيين، ولم تلتزم باتفاق إجراءات الصرف من أرصدتها، والمحدّد بنحو 60% من صنعاء و40% من عدن، مقابل استمرار التشغيل من مطار الأولى إلى الأردن، وفتح وجهات سفر جديدة تسهّل انتقال المواطنين من صنعاء إلى مطار القاهرة الدولي، ولا سيما أن معظم المرضى اليمنيين الذين ينتقلون إلى الخارج للعلاج يتجهون صوب مصر والهند.

وجاءت الإجراءات الأخيرة في أعقاب مطالب تقدّمت بها حكومة الإنقاذ إلى مكتب المبعوث الأممي، أكدت فيها أن الرحلات الست إلى الأردن غير كافية لتخفيف معاناة المرضى، بسبب الضغط الكبير على حجوزات التذاكر في مكاتب الشركة في صنعاء، وطالبت بسرعة فتح وجهات جديدة إلى مصر والهند لتسهيل انتقال المرضى إلى الخارج لتلقي العلاج. وقد يدفع استمرار التصعيد ضد صنعاء إلى تصعيد مقابل، من مثل وقف أي حركة للطيران المدني في أجواء البلاد كافة، علماً أنه سبق لـ«أنصار الله» أن منعت هبوط أكثر من طائرة في أكثر من مطار بدائي خاضع لسيطرة خصومها.

سوريا

قلف في الشرق وترقّب في الشمال

تودّد أنقرة إلى دمشق يخلط الأوراق

علاء حلبي

أعادت الأنباء المتوارِدة عن عودة المساعي الروسية من جهة، والعراقية من جهة أخرى، والمدعومة من قبل إيران، للتوسط بين دمشق وأنقرة، فتح الباب أمام تساؤلات مصيرية عديدة، سواء في الشمال الشرقي من البلاد (مناطق سيطرة الأكراد – الإدارة الذاتية)، أو في الشمال والشمال الغربي حيث تنتشر فصائل تابعة لتركيا، بينها «هيئة تحرير الشام» (جبهة النصرة – الفرع السابق لتنظيم القاعدة)، في ظل ضبابية الأنباء التي يجري تسريبها، وحالة عدم اليقين حول مستقبل هذه المناطق. وتكشف مصادر سوريّة معارضة، في حديث إلى «الأخبار»، أن تركيا ردّت على تساؤلات عدد من قادة الفصائل حول صحة التقارير التي تتحدث عن لقاءات جرت في قاعدة «حميميم» الروسية في الساحل السوري بين وفدين سوري وتركي، بأن الطرفين لم يجريا أي لقاء على المستوى الاستخباراتي الرفيع، من دون نفي حدوث لقاء على المستوى التقني.

> تبدو الأوضاع في الشمال الشرقي من البلاد أكثر توتراً من شمالها

وتضيف المصادر أن ضابط الارتباط بين الفصائل المسلحة في الشمال السوري وتركيا، طلب من الفصائل تهدئة الأوضاع وقمع أي تحرك رافض للسياسة التركية، وهو ما جرى فعلاً في مدينة تل أبيض التابعة لمحافظة الرقة، والحدودية مع تركيا، إذ تم اعتقال عدد من المسلحين الذين حاولوا تنظيم تظاهرة رافضة لدخول وفد روسي إلى المنطقة، لإجراء لقاء مع وفد تركي، من دون أن ترشح أي معلومات عن فحوى هذا اللقاء، وهو ما زاد من حالة الضبابية في ظل الحديث الذي بدأ ينتشر حول دراسة خطة يتم من خلالها تسليم المنطقة الحدودية، لقوات حرس الحدود السورية.

وتجيء الأنباء عن التقارب بين الطرفين، والذي ارتفعت وتيرة الحديث عنه في وسائل الإعلام التركية خلال الأيام القليلة الماضية، عقب جولة لوزير الخارجية التركي، هاكان فيدان، شملت لقاءات مع مسؤولين من دول الخليج، والرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، جرى خلالها الحديث بشكل معمّق عن الأوضاع في سوريا، وذلك بعد أيام من إعلان رئيس الوزراء العراقي، محمد شياع السوداني، بدء وساطة عراقية بين أنقرة ودمشق، ذكرت وسائل إعلام عراقية أنها ستثمر لقاءات بين الطرفين في بغداد.

وفي وقت تتحفّظ فيه تركيا على تسريب أي أنباء إلى الفصائل التابعة لها، وتكتفي بتوجيه بعض الأوامر المتعلقة بضبط الميدان ومنع أي تحركات مناوئة لها في مناطق نفوذها في الشمال السوري، تشير المصادر إلى أن الأجواء الحالية في أنقرة تتشابه إلى حد كبير مع تلك التي كانت سائدة خلال الوساطة الروسية – الإيرانية، والتي رافقتها لقاءات على المستوى الاستخباراتي والعسكري، وحتى السياسي، عبر لقاء جمع وزير الخارجية السوري، فيصل المقداد، ونظيره التركي حينها، مولود جاويش أوغلو، قبيل فاز فيها الرئيس التركي، رجب طيب إردوغان. وكانت تلك الأجواء أثارت حالة ترقب شديدة بين الفصائل، التي لمست انقلاب إردوغان على جماعة «الإخوان المسلمين» بعد عودة العلاقات التركية – المصرية، فيما الحديث عن التقارب السوري – التركي يأتي هذه المرة مدفوعاً من جهات عدة، بالإضافة إلى أنه يتزامن مع متغيرات جديدة تتعلق بالأكراد المدعومين من الولايات المتحدة، الأمر الذي قد يعطي تلك الجهود دفعة كبيرة.

(أ ف ب)

وبينما تسود حالة ترقب في الشمال السوري، تبدو الأوضاع في الشمال الشرقي من البلاد أكثر توتراً، وخصوصاً بعد أن أجبرت الولايات المتحدة، «الإدارة الذاتية» التي تقودها «قوات سوريا الديموقراطية» (قسد)، على تأجيل انتخاباتها المحلية التي كانت تنوي إجراءها، إلى آب المقبل. وتسري توقعات بأن يتم تمديد هذا التأجيل إلى أجل غير مسمى، في ظل إعلان تركيا رفضها القاطع إجراء تلك الانتخابات التي من شأنها أن ترسّخ سلطة الأمر الواقع، علماً أن أنقرة تربط هذه الأخيرة بحزب «العمال الكردستاني» في العراق، والذي جرى توقيع اتفاقية أمنية عراقية – تركية للحد من نفوذه، شكّلت بدورها أرضية لانفتاح عراقي – تركي كبير.

وفي السياق، ذكرت مصادر كردية، في حديثها إلى «الأخبار»، أن القراءات السياسية المتداولة في الأوساط السياسية الكردية، وخصوصاً في «مجلس سوريا الديموقراطي» (مسد)، تتحدث عن أن طريق التطبيع السوري – التركي طويل ولن يصل إلى نهايته بين ليلة وضحاها. وهو ما تحاول «مسد» استثماره للحد من المخاطر المتوقعة لهذا الانفتاح، الذي سيعني اكتماله إنهاء «الإدارة الذاتية»، سواء عبر عملية سياسية واسعة، أو حتى من خلال معارك يجد فيها الأكراد أنفسهم محاصرين.

تونس

«ميثاق جمهوري» بوجه سعيد: رؤية معارضة بديلة

تونس - الأخبار

تعمل القوى الناشطة في الفضاء السياسي والمجتمعي في تونس، على استقطاب معارضي الرئيس قيس سعيد إلى «ميثاق جمهوري» يضع البنود الأساسية للعمل السياسي المعارض والبديل. والميثاق الذي وقّعه أكثر من مئة ناشط سياسي ومدني من سياسيين وحقوقيين وشخصيات وطنية وإعلاميين، بالإضافة إلى أربعة أحزاب اشتراكية وليبرالية، وعدد من المنظمات، نُشر للعموم أخيراً، وتضمن دعوة للشخصيات التي تتفق معه وما ورد فيه إلى التوقيع عليه، تمهيداً لبدء العمل على الميدان. ومنذ اتخاذ الرئيس الإجراءات التي استفرد بموجبها بالسلطة، انقسم معارضوه بين منظومة حكم ما قبل سعيد من جهة، ومعارضيها على امتداد عقد من الزمن، والذين يعارضون منظومة الرئيس أيضاً، من جهة أخرى. ولأن الفئة الأخيرة كانت تحمّل حزب «النهضة» مسؤولية تشويه العمل السياسي، فهي أحجمت عن المشاركة في أي تحرك معارض تقوم به «النهضة» وحلفاؤها.

واليوم، تبدو المبادرة الأحدث محاولة لجمع كل الراغبين في خلق بديل لمنظومة الحكم الحالية، ولكن هذا لا يعني تلقائية انضمام «النهضة» وحلفائها إليها؛ إذ إن بنود الميثاق تنصّ على وجوب العودة إلى دستور عام 2014، مع تعديل عدد من أحكامه، وخصوصاً تلك التي أسست للديموقراطية الصورية والتي انقلب عليها سعيد. والجدير ذكره، هنا، أن قائمة التوقيعات شملت أسماء لشخصيات متقاربة فكرياً تنتمي في أغلبها إلى العائلة الوسطية الديموقراطية وبعض الحركات اليسارية أيضاً وذات الخلفية النقابية، وغابت عنها، إلى حد الآن، الشخصيات ذات الخلفية الإسلامية.

كذلك، وضع الميثاق جملة من المبادئ، أساسها احترام سيادة البلاد، وضمان الحريات العامة والفردية، والمساواة بين المرأة والرجل، وتحديد دور العبادة عن الدعاية السياسية، وضمان حيادية المؤسستين الأمنية والعسكرية، وحماية حرية التعبير والرأي والصحافة والنشر. وفيما يبدو لافتاً أن أغلب تلك المبادئ كانت محل صراع أيضاً مع منظومة «النهضة» كما هي مع منظومة الرئيس الحالي، بما يضعّف إمكانية انضمام الحزب إلى الميثاق، فإن هذا الأخير بتجاوز كونه محاولة تجميعية للأطراف الراغبة في تصعيد تحركاتها ضد سعيد قبيل الانتخابات الرئاسية المقبلة، والرافضة، في الوقت نفسه، للاندراج مع «النهضة» في الخانة نفسها، إذ يظهر أقرب إلى وثيقة تقدم تصورات للمرحلة المقبلة، وتستهدف ما يعتقد أصحابها أنه «ترشيد» خيارات التونسيين السياسية قبيل الانتخابات وبعدها.

ويناقض مضمون الميثاق أسس حكم الرئيس الحالي، كونه لا يعترف بالدستور الجديد الذي سنّه سعيد وأجرى عليه استفتاءً شهد مشاركة ضعيفة جداً، كما يشدد على فصل السلطات الثلاث بعضها عن بعض، بعد أن استفرد بها سعيد بتنصيب حكومة صورية تتلقى أوامرها مباشرة منه وتنفذها. أيضاً، ينصّ الميثاق على العودة إلى النظام الانتخابي المعتمد في انتخابات عام 2019، ولكن بتعديلات كبيرة تسمح بمراقبة تسرب المال السياسي والسيطرة على شراء الأصوات وتوجيه الناخبين. كذلك، يمهد للعمل على إطاحة المراسيم والقوانين التي سُنت خلال هذه الفترة والتي حدت من الحريات، وأولها المرسوم 54 المتعلق بجرائم الرأي، والذي يقبع بموجبه عشرات الصحافيين في السجن على قيد التحقيق، فيما يلاحق آخرون أمنياً وقضائياً.

> انقسمت التأويلات حيال تلك المبادرة بين من يراها مجرد غطاء لجبهة سياسية تصطف وراء مرشح ستختاره لاحقاً، ومن يتهمها بالعبثية ومحاولة تغيير موازين القوى قبيل انتخابات محسومة سلفاً، ما يجعل حتى هامش الفعل السياسي أضيق إذا لم يكن معدوماً تماماً. ويرى مراقبون أن الرئيس الذي لم يستجب حتى لمساندیه الذين دعوه إلى تأسيس جبهة انتخابية وإدخال تعديلات على نظام الحكم بما يضمن الديمقراطية والحريات، على غرار «حركة الشعب» الداعمة لمسار 25 تموز، لن يستجيب أيضاً للموقّعين على الميثاق، هذا إذا لم يتهمهم سلفاً بالعمالة، كما فعل مع جميع خصومه.

من جهته، أعلن أمين عام «الحزب الاشتراكي»، فوزي الشرفي، في تصريحات إعلامية، أن أطراف الميثاق لن تدخل الانتخابات طالما لم يقدم الرئيس ضمانات لنزاهتها وشفافيتها، وأهمها تحديد موعدها والإعلان عن القانون الذي سينظمها، وإطلاق سراح المساجين السياسيين لضمان حق هؤلاء في الترشح، وابتعاد الرئيس عن «هيئة الانتخابات» ورفع يده عنها بما يسمح لها بالاستقلالية والقدرة على تنظيم انتخابات من دون ضغط، إضافة إلى إلغاء المرسوم 54.

مقابلة

اجراها **إبراهيم يونس**

كريستوفر تشيس دان

مدير معهد «بحوث النظم العالمية» في جامعة كاليفورنيا

- **فلسطين وأوكرانيا دليل على تراجع الهيمنة**
- **النظام العالمي المعاصر يشهد فوضى عارمة**
- **الحركة الطالبية جزء من تاريخ تصفية الاستعمار**

كريستوفر تشيس دان، استاذ علم الاجتماع ومدير معهد «بحوث النظم العالمية» في جامعة كاليفورنيا (ريفرسايد)، ومؤسّس مجلّة «بحوث النظم العالمية». أقام العديد من البحوث التي تركّز على المدن ونظم التوطّن من اجل تفسير التطوّر السوسيو ثقافي البشري. ودراسة العلاقة بيْن مختلف النظم التاريخية والنظام العالمي الراسمالي المعاصر. هو مؤلّف كتاب «التكوين الكوني: بنى الاقتصاد العالمي»، الذي يُعدّ من اهمّ الكتب لدى محلّلي النظم العالمية. وشارك في تاليف كتابي «التغيُّر الاجتماعي: العولمة من العصر الحجري الى اليوم» و«النضال الكوني وحركات التغيُّر الاجتماعي». في هذه المقابلة، نفحص وقائع اللحظة ضمْن التاريخ البنيوي للنظام العالمي المعاصر. يرى تشيس دان انّ النظام العالمي يواجه مشكلاتٍ بيئيّة وصراعات متصاعدة. واننا نعيش لحظة تغيُّر بنية السلطة الكونية. فالعولمة الراسمالية الليبرالية الجديدة تقترب من نهايتها. والمنافسة الدولية تزداد حدّة مع تصاعد نظامٍ متعدّد الاقطاب تتراجع معه الهيمنة الاميركية. يعتبر انّ الحرب في اوكرانيا وغزة كارثيتان. وانّ الإبادة في غزّة قادرة إلى تشكّل موجة جديدة من التضامن العالمي مشابهة لما حدث عام 1968 مع بعض الاختلافات التي تتحدّى هيمنة الولايات المتحدة أنْ تساعد أيضاً في تحقيق ذلك، إذا أصبحوا جادّين بشأن انبعاثات ثاني أوكسيد الكربون، ونظام نقدي عالمي أكثر مساواة. حتّى اليوم، لم تعلن دول «البريكس» إلا بعض هذه الأمور (مثل التخلّص من الدّولَرة) بصفتها أهدافاً، لكنها مع ذلك لم تتقدّم حتّى الآن بقوّة لتنفيذها. وتُعدّ تصرّفات جنوب أفريقيا التي وصفت الحرب الإسرائيلية الجارية في غزّة بأنها إبادة جماعية، استثناءً جزئياً ملحوظاً، ولكن بالمثل لم يعقبها حتّى الآن منع تصدير الفحم إلى إسرائيل.

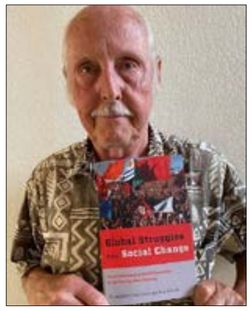

■ أدّت الإبادة الجماعية للفلسطينيين وتوسّع ميدان المعركة إلى نشوب احتجاجات واسعة في الغرب. يُنظّم الطلّاب اعتصامات وإضرابات وحركات مقاطعة. ما الفارق بيْن موجة التضامن العالمي هذه و«الثورة العالمية لعام 1968» وفق تعبيرك؟

في الستينيّات، حاولتْ مع طلّاب آخرين ونشطاء مناهضين للحرب إيقاف قطارات القوّات وشاحنات النابالم احتجاجاً على الحرب في فيتنام. وفي مستهلّ أيّار/مايو الماضي عندما أقامت منظّمة «طلاب من أجل العدالة في فلسطين» مخيّماً في جامعتي انضممت إليهم، وقضيت ليلة في إحدى الخيام. أوجُهُ التشابه بين الحدثين مهمّة؛ تستخدم حكومتنا أموال ضرائبنا لتوريد الأسلحة التي تُقتل بها الشعوب المقاتلة من أجل تحرّرها. وكلا الحدثين جزءٌ من التاريخ العالمي لتصفية الاستعمار الموصوف أعلاه. لكن لكلّ الحدثين سياقات وتنظيمات مختلفة. كانت الثورة العالمية لعام 1968 بمثابة ثورة الطلّاب والشباب في العديد من البلدان، مصحوبةً بظهور اليسار الجديد الناقد للمجتمع البرجوازي واليسار القديم في آن واحد. وشكّل الفشل الواضح للحركة العمّالية العالمية، بأحزابها ودولها، عاملاً قاد إلى ظهور حركات المقاومة الجديدة، التي تشمل على سبيل المثال حركات المقاومة الإسلامية.

في نهاية المطاف، ساعدت الحركة الطالبية بالولايات المتّحدة في إنهاء الحرب في فيتنام، ولكنها حفّزت أيضاً ظهور حركة مضادّة، أصبحنا نسمّيها اليوم «الليبرالية الجديدة»، حاولت عكس إنجازات «الصفقة الجديدة» المتعلقة بحماية العمّال المنظّمين ودعم الفقراء. وراحت الحكومات الليبرالية الجديدة في جميع أنحاء العالم تُخصخِص العديد من التنظيمات المملوكة للقطاع العام، ووسّعت الإعفاءات الضريبية للأغنياء مع تقديم إعانات للشركات الكبيرة. أدّت هذه التغيُّرات إلى زيادة اللامساواة في الدخل والثروة في العديد من البلدان.

من المبكر معرفة العواقب التي ستترتّب على الحركات الطالبية الحالية الداعمة لتحرير فلسطين. أحد الاختلافات هو أنّ غالبية كُليات الجامعات دعمت الاحتجاجات الطالبية في الستينيات بقوّة، في حين لاقت موجة الاحتجاجات الأخيرة دعماً ضعيفاً من أعضاء هيئة التدريس، وواجهت قمع الإدارات للاعتصامات في معظم المؤسّسات. أعتقد أنّ هذا الاختلاف يتعلّق في المقام الأوّل بنفوذ الصهيونية القويّ داخل الولايات المتحدة. ولكن مع ذلك، نلاحظ تضامناً شعبياً كبيراً مع الاعتصامات، ودعماً متزايداً لحملة سحب الاستثمارات من إسرائيل. في الواقع، يشعر معظم الناس في الولايات المتّحدة بالاشمئزاز ممّا يرونه في التقارير الإخبارية عن التدمير والقتل في غزة. ولكن مع ذلك ما زال الصهاينة أقوياء في بلدنا. هذه الحرب العبثيّة والمأساوية تحتاج إلى نهايةٍ تسير في الاتجاه المذكور أعلاه.

■ في حين تتواصل حرب أوكرانيا، مع إصرار أميركي على المواجهة يصطدم بقرار بوتين غيْر المسبوق بتزويد الدول التي تحارب الولايات المتحدة وحلفاءها بالسلاح، يتجلّى في فلسطين اصطفاف الولايات المتحدة وحلفائها مع إسرائيل لكن الجديد في معركة «طوفان الأقصى» أنّ حلفاء الفلسطينيين في محور المقاومة لديهم فاعليّة ملموسة في أرض المعركة... هل سيترك ذلك أثراً على الهيمنة الأميركية؟

كما ذكرت أعلاه، الهيمنة الأميركية تتراجع ببطء. والحروب في أوكرانيا وفلسطين دليل على ذلك، رغم أنّ الهجوم الروسي على أوكرانيا أدّى جزئياً إلى تحسين موقف الولايات المتحدة مقابل أوروبا وحلف شمال الأطلسي. كلتا الحربين كارثيتان ويجب إنهاؤهما في أسرع وقت ممكن. سيتعين على أوكرانيا في نهاية المطاف التفاوض مع روسيا بشأن شبه جزيرة القرم والأقاليم الشرقية. ومعظم سكّان شبه الجزيرة يفضّلون أن يكونوا جزءاً من روسيا، إذاً، أنْ يحدث ذلك عاجلاً خيرٌ من حدوثه آجلاً. وضروري أنْ تنشأ داخل الولايات المتحدة حركة سلام قوية، تُخرج المجمع الصناعي العسكري من سيطرة السياسة الخارجية الأميركية. بالنسبة إلى تجّار الأسلحة، تُعتبر الحروب بالوكالة طريقة جيّدة لاختبار منتجاتهم. ولم تزل روسيا تمتلك أسلحة نووية من مخلّفات الحقبة السوفياتية، إلى جانب عدد كبير من السكّان على استعداد لحمل أكفانهم والموت في حروب التحرّر، فضلاً عن أنّ لديها ما يكفي من صادرات النفط والمواد الخامّ الأخرى، لتغطية تكلفة المغامرة العسكرية.

كلّ هذا متوقّع من اقتصاد عالميّ يولّد التناقضات أكثر من الحلول، ونظام دوليّ بات متعدّد المراكز ومضطرباً على نحو متزايد. بعد انتهاء «زمن المحَن» الحالي هذا، يمكن أنْ يستمرّ الاتّجاه الطويل المدى نحو ديموقراطية ومساواة عالميّتين، إذا رسمت الحركات الاجتماعية التقدّمية المسارات لذلك العالم خلال الفترة الانتقالية. إنّ تشكيل حكومة عالمية فيدرالية ديموقراطية واشتراكية بيئية، تجعل الحرب غيْر قانونية وتطبّق القانون، جزءٌ من هذا الحلّ الطويل المدى. ويمكن لدول «البريكس» شبه الطرفية (تويتبي) هذه بمثابة آليات للانتقاء، وكانت المجتمعات التي اكتشفت طُرقاً للبقاء، وإعادة تأسيس التعاون والاستقرار، هي الرابحة. إنّ وطأة التحدّيات الحاليّة ستكون ثقيلة بالنسبة إلى أعداد كبيرة من الناس، ولكنّ الأغلب أنّ يبقى جنسنا البشري على قيد الحياة، ويواصل في النهاية توسّعه في مناطق أخرى من النظام الشمسي لم يسكنها البشر بعد. وستستمرّ التحدّيات الجديدة في الظهور، وستشهد النظم البشرية المستقبلية فترات كثيرة تشبه الحاضر إلى حدّ ما. هذه أخبار سارّة لمن يعانون الاضطرابات القائمة والمستمرّة للعقود القليلة القادمة، ولكنها تعني أنّ قصّة جنسنا البشريّ لن تصل إلى نهايتها في القريب العاجل.

■ يُمكّننا الإطار الذي تطرحه من فهم تعقيدات المشروع الاستعماري الاستيطاني الصهيوني في فلسطين والعالم العربي: كيف ترى الكفاح الفلسطيني والعربي للتحرر من نير الاستعمار والإمبريالية، في سياق تاريخ الحركات الاجتماعية التي تتحدّى الهيمنة وبنية السلطة الكونية؟

الخبر السارّ أنّ النظام العالمي الحديث شهد موجات من تصفية الاستعمار، منذ أواخر القرن الثامن عشر ومستهلّ القرن التاسع عشر، وأنّ بُنية سياسية كونية أكثر مساواة وديموقراطية سياسياً أخذت تتشكّل ببطء، حيث تماسست بعض أشكال المساواة العالمية، حتّى وإنْ كانت ضعيفة كما هو حال الجمعية العامّة للأمم المتّحدة. وأُلغيت العبودية المُقنَّنة والقنانة في القرن التاسع عشر. ولكن ظهرت أيضاً الأشكال المؤسّساتية للقوّة لتحلّ محلّ الاستعمار التقليدي، وبقيت أنظمة الفصل العنصري قائمةً في بعض البلدان حتّى يومنا هذا. ومن ثمّ لم تزل التفاوتات ضخمة، على الصعيد العالمي وداخل كلّ دولة.

تُعتبر حالة فلسطين فريدة نسبياً، لأنّ جهود إقامة «مساحة آمنة» ليهود اوروبيين مُضطهَدين بعد الحرب العالمية الثانية أدّت إلى تهجير الفلسطينيين واضطهادهم، ولم يزل هذا الوضع قائماً حتّى اليوم كما توضح الحرب المأساوية الجارية. أعتقد أنّ الأوان لم يَفُت بعد، وما زال بالإمكان تصحيح بعض الأخطاء التي ارتُكبت في سبيل إقامة هذه المساحة. بإمكان دولة قومية جديدة على أراضي فلسطين التاريخية أن تضمن حقوق المواطنين في اعتناق أي دين يفضّلون، ضمن دولة علمانية واحدة، إلى جانب ضمان الحقوق السياسية والاقتصادية لجميع العرب واليهود وغيرهم. ما زال ممكناً تحقيق هذه الغاية من خلال عملية إعادة الهيكلة التي يدعمها المجتمع الدولي، خاصة الأمم المتحدة والولايات المتّحدة، ولكن أيضاً دول الطوق وتلك المجاورة، والأفراد والحركات الاجتماعية الساعين للعدالة الكونية. بمقدورنا أن نبني عالماً أفضل.

■ لنستهل هذه المقابلة بتقديم لمحة عامة عن العالم الذي نحيا فيه وكيف نفهمه: كيف ترى عالم اليوم، في لحظة حافلة بالصراعات والتحوّلات، من خلال تحليل النظم العالمية؟

يدرس منظور النظم العالمية، المقارن والتطوري، نشأة النظم العالمية الصغيرة والمتوسّطة والكبيرة الحجم منذ العصر الحجري وحتى اليوم، في سبيل شرح الأسباب التي جعلت نظم المجتمعات البشرية أكبر حجماً وأكثر تعقيداً وهرميّة. يقترب اليوم برنامج العولمة الرأسمالية الليبرالية الجديدة من نهايته، لأنّ نقل التصنيع إلى البلدان ذات الأجور المنخفضة أتى ثماره بالفعل بمكاسب كبيرة يُحصّلها رأس المال بفضل تلك العمليّة، ولم يزل مَن خسروا نتيجة ذلك غير راضين، وأصبحت المنافسة والصراع بين النُخَب وفي النظام الدولي أكثر حدّة. ومع ذلك، ما زال بالإمكان، حتّى في ظلّ الثورة الديموغرافية (انخفاض معدّلات الوفيات متبوعاً بانخفاض معدّلات المواليد)، أنْ يتزايد عدد سكّان الكوكب، ومن المتوقّع أن يصعد إلى ذروته في منتصف القرن الحادي والعشرين ليراوح بين 10 و12 مليار إنسان، ما يعني أن الضغط السكّاني سيظلّ قويّاً.

تواجه الهيمنة الكونية للولايات المتحدة تحدّياً تفرضه القوى شبه الطرفية الصاعدة (مجموعة «البريكس»: البرازيل وروسيا والهند والصين وجنوب أفريقيا)، ويدخل النظام العالمي فترةً أخرى من التعددية القطبية، تتشابه بنيوياً مع الفترة الممتدّة بيْن أواخر القرن التاسع عشر ومستهلّ القرن العشرين، عندما كانت الهيمنة البريطانية في تراجع. الجديد هنا هو الاندفاع السريع لظاهرة الاحتباس الحراري التي يسبّبها الإنسان، والتي من المرجّح أنْ تؤجّج الصراع داخل المجتمعات القومية وفي ما بينها، ما سيجعل مناطق كبيرة من الكوكب غير صالحة للسكن. في الواقع، لا تملك المؤسّسات الدولية التي نشأتْ في القرن العشرين قدرات الحفاظ على السلام العالمي، في عالم يتعرّض – على نحو متزايد – لتطوّرٍ غيرْ متكافئ واضطراباتٍ كارثية كبرى. أرى أنّ النظام العالمي المعاصر يشهد فوضى عارمة.

يوضّح تاريخ وتطوّر النظم العالمية منذ العصر الحجري أنّ الماضي مليء بفترات عديدة انهارت فيها النظم الاجتماعية، وفقدت السلطات شرعيتها، وأدّت الصراعات الكبيرة إلى كوارث هائلة قُتل فيها الكثير من الناس، على يد أناس آخرين والمجاعات والكوارث، لكن على أي حال، توضح الأبحاث المُجراة على أحجام المدن والوحدات السياسية الكبيرة أنّ جميع هذه الفترات أعقبتها في النهاية فترات انتعاش، شُيّدت فيها مؤسّسات جديدة سمحتْ باستمرار الزيادة في أحجام وتعقّد المجتمعات البشرية. كانت «أزمنة المحَن» (بكلمات أرنولد

◄ إعلانات رسمية

تبليغ

جانب: من يهمه الأمر
رقم المحفوظات:
رقم الصادر: 2024/422
تاريخ: 2024/6/20
الموضوع: تبليغ مجهول محل الإقامة
المرجع: محكمة صور الشرعية الجعفرية

ورقة دعوة صادرة عن محكمة صور الشرعية الجعفرية موجهة إلى علي خليل سويدان (مجهول محل الإقامة) في الدعوى المقامة عليك من تغريد إبراهيم علّويه بمادة إثبات طلاق رقم أساس 2024/225 والتي تعين موعد الجلسة فيها يوم الثلاثاء 2024/7/22 فيقتضي حضورك أو إرسال من ينوب عنك إلى قلم المحكمة لاستلام التبليغ الخاص بك المتعلق بهذه الدعوى.

رئيس القلم
محمود صالح
السيد محسن السيد أحمد
شوقي الأمين
قاضي صور الشرعي الجعفري

خطر وجودي؟ نعم!

سعد الله مزرعاني *

يكرّر رئيس الوزراء الإسرائيلي، يومياً، أنّ إسرائيل تواجه خطراً وجودياً. هو يفعل ذلك، بالدرجة الأولى، ليبرّر استمراره في حرب الإبادة التي تجلّى إجرامُها، خصوصاً بالتركيز على استهداف المدنيين، فيما يتواصل «عجز» القوات الإسرائيلية عن السيطرة على مدن ومخيمات قطاع غزّة بسبب المقاومة الضارية، في صيغة حرب عصابات، التي تشنّها «حماس» وفصائل فلسطينية مقاومة، ضدّ الجيش الغازي وتكبّده خسائر هي أضعاف ما اعترف به. خسائر العدو الصهيوني متنوّعة: بشرية، قتلى وجرحى ومعوّقون جسدياً أو نفسياً (بالآلاف)، هاربون من الخدمة أو ممتنعون عن العودة إليها... كذلك خسائر هائلة في المعدّات والآليات وخصوصاً منها دبّابة الميركافا بكلّ أنواعها، والتي يفوق عددها الـ 1500 آلية، وهي، أيضاً، خسائر معنوية، وأخرى أخلاقية، طاولت، كذلك، داعميه وأكبرهم واشنطن. فالجيش الإسرائيلي الذي يباهي بحرفيّته والتزامه بقوانين الحرب، ارتكب أعظم المجازر بشكلٍ متواصل وجبان، ما أثار حملةً هائلة غير مسبوقة ضدّ ممارساته وممارسات حكومته الإرهابية البربرية على امتداد العالم.

بات على كلّ لسان، أنّ نتنياهو يستمرّ في الحرب من أجل استمراره في السلطة التي سيفقدها حتماً، كما يعتقد ويعلن الجميع، بمَن في ذلك الرئيس الأميركي نفسه! إلّا أنّ رئيس الوزراء الإسرائيلي، الذي أشرنا إلى أولوية أسبابه الخاصّة في التحذير من الخطر «الوجودي» المحدق بالكيان الصهيوني، ليس الوحيد الذي يتناول هذا الأمر بشكلٍ شبه يومي ويحذّر منه دون كلل.

ثمّة كثيرون في صفوف المسؤولين الإسرائيليين، حاليين وسابقين، سياسيين وعسكريين، ممّن يحذّرون ممّا تواجهه إسرائيل، بسبب إخفاقات جيشها وتطرّف حكومتها وتصرّفها، من أخطار وجودية تهدّدها على نحوٍ غير مسبوق. بل إنّ في داخل الحكومة، وليس فقط في المعارضة، مَن يحذّر من أنّ ما حصل قد وضع الكيان في وضع صعب لا يمكن الخروج منه إلا بتقديم تنازلات «أليمة»، يندرج في هذا السياق، وبصورةٍ بالغة الخطورة، اتّخاذ الخلاف، بين قيادة الجيش ورئيس الوزراء، صيغةً هي أشبَه بالتمرّد، عبر ردّ الناطق باسم الجيش (هاغاري)، على نتنياهو (الذي اتّهم الجيش بأنه يضع نفسه فوق الدولة)، بإعلان إسقاط أوّل وأهمّ بند من «أهداف الحرب» التي يكرّرها، وتأكيد استحالة القضاء على «حماس»!

الأمر طبيعي! وإنْ يكن غير مألوفٍ في مسار الحروب العدوانية الإسرائيلية على الشعب الفلسطيني وعلى الدول العربية المجاورة لفلسطين المحتلة، في 7 أكتوبر، فاجأت عملية «طوفان الأقصى» العدوّ حتّى الموت! خسائر هائلة في الأرواح. مخطوفون بالمئات. انهيارٌ قيادي كامل في «غلاف غزّة» بسبب هول المفاجأة. شلَلٌ وارتباك انفعالي في القيادة السياسية والعسكرية... ما دفع حُماة الكيان إلى المسارعة لنجدته، بالحضور الشخصي والأساطيل والجسور الجوّية والبحرية ولتزويده بأحدث وأفتك أنواع الأسلحة وأكثرها تدميراً. أمّا الأصدقاء، والشركاء المطبّعون، القدماء والجدد، فكأنما كان على رؤوسهم «الهدهد»! هؤلاء، وأولئك وفّروا للعدوّ كلّ الأسباب والذرائع والإمكانات ليُضرب دون رحمةٍ أو تمييز أو تأخير. رغم كلّ ذلك، تورّطت إسرائيل في أطول حروبها وأفدح خسائرها وأعظم عجزها، ولا تزال. أمّا الخسائر، فالمعنوي والجوهري منها أكبرُ بما لا يقاس. إسرائيل الآن دولةٌ عنصرية، مجرمة، مدانة، منبوذة على أوسع نطاق في العالم، بوصفها خارجة على كلّ أنواع الشرعية الدولية، ومدانة من قِبَل جميع هيئاتها. هل إسرائيل تواجه فعلاً خطراً وجودياً؟ أم أنّ الإعلان عن مِثل هذا الخطر هو لكسب الوقت طلباً لانتصار غزّ، بل استحال، طوال ما يقارب التسعة أشهر؟ بالإضافة إلى ما قالته وتقوله المعارضة الإسرائيلية عموماً وعائلات الأسرى المخطوفين خصوصاً، ثمّة شعورٌ حقيقي بالخطر وبسقوط الأوهام والأحلام.

إنّ الكيان الصهيوني، لن يتمكّن بعد الحرب على غزّة من السيطرة على الفلسطينيين: لا بالقوّة الخشنة ولا بالقوّة الناعمة. وهو لا يستطيع، بالدرجة نفسها، أن يتعايش معهم، أو حتّى مع قسمٍ منهم ما دام أنه يرفض، وفي عزّ أزمته ومأزقه، القبول بأي حضور لهم في دولة الاغتصاب مهما كان رمزياً ومكبّلاً بآلاف الشروط أو القيود. أمّا أوهام الكيان بالسيطرة على المنطقة وفقاً لمخطّطاته ومخطّطات حماته، فهي إلى زوالٍ كنتيجةٍ حتميّة لتداعيات المعركة، العاجلة والآجلة، على الكيان وشركائه في الجريمة والهزيمة: الدوليين والإقليميين. كتب المحلّل العسكري لصحيفة «يديعوت أحرونوت»، رون بن يشاي، بعد أن أكّد أنّ مواجهة الخطر «من الشمال» هي التي باتت تحتلّ الأولوية: «ستكون للحرب آثار أمنيّة إستراتيجية وجودية على دولة إسرائيل... فقد نواجه هجمات متكرّرة في سنوات قليلة بهدف إنهاكنا عسكرياً ونفسياً، وتتسبّب في انهيارنا».

حقّقت المقاومة والشعب الفلسطينيان نجاحاتٍ باهرة: الصمود الأسطوري الشعبي والمسلّح لمقاوم. تبلورُ القيادة المصمّمة والحاسمة في خيارها الجذري نهجاً وأسلوباً، وفي إبداعها القتالي، وتحالفاتها الإستراتيجية وعلاقاتها التكتيكية. كذلك في ترفّعها وتمسّكها بثوابت القضيّة وإعادة طرحها كقضيّة اغتصاب واحتلال. لا مجرّد صراع على سلطة في الداخل أو في الخارج. أربك ذلك كلّه داعمي الكيان وفضحهم، وأدخلَ حكومته الفاشيّة وكلّ قواه السياسية في مأزقٍ غير مسبوق، وأطلق حملة تضامن عالمية ضخمة. في مجرى ذلك، تمّ احتواء الالتباس والخلاف حول «حلّ الدولتين» بما يوفّر مكسباً مرحلياً للكفاح الفلسطيني ويجعله، بالضرورة، بدايةً للتحرير الشامل.

لكنّ الأمور ليست سهلة. الارتكابات الهمجية ضدّ غزّة خصوصاً، والشعب الفلسطيني عموماً، تستمرّ إلى حجم الإرهاب والإجرام الذي تستطيعه القوى الصهيونية والاستعمارية. كتب لينين، مؤسّس أوّل تجربةٍ ودولة اشتراكية كبرى في العالم، قبل أكثر من قرن: «لقد أتت الرأسمالية إلى نظام عالمي لاضطهاد الأكثرية الكبرى من سكّان الأرض استعمارياً وخنقها مالياً»... وهي تضيف، في مرحلتها الإمبريالية الراهنة، وبالشراكة مع سفّاحي الحركة الصهيونية، الكثيرَ والخطير من وسائل الاستغلال والنهب والهيمنة والعدوان. لكنّ مقاومة الشعب الفلسطيني، وفي غزّة خصوصاً، صنعت المعجزة، واختطّت لنفسها طريقاً سيسلكه آخرون كما سلكت هي سبيل مَن سبقها: من الذين ثاروا وانتصروا على الظلم والعدوان والإجرام والاحتلال.

الشعب الفلسطيني يؤكّد بقوّة صحّة المثل القائل: ما ضاع حقٌّ وراءه مقاوم. وهو أضاف له الكثير والمدهش عبر جلجلةٍ مذهلة من المعاناة والصبر والإبداع والبطولة والصمود والقدرة على صناعة التاريخ. التضحيات الجسيمة هي فقط ما يؤدّي إلى الانتصارات العظيمة.

* كاتب وسياسي لبناني

فلسطين ومستقبل السياسة في العالم العربي [2/2]

أسعد أبو خليك *

لا يزال الحديث عن الجديد في تأثيرات القضيّة الفلسطينيّة ومجرياتها بعد غزّة.

إنّ اعترافَ إسرائيل أمام العالم بقتلها عشرات الآلاف من الفلسطينيّين. أمام أكثر من 37 ألف ضحيّة فلسطينيّة تقول إسرائيل إنها نجحت في قتل نحو عشرة آلاف من مقاتلي «حماس»، وهذا اعترافٌ صريحٌ بقتل أكثر من 20 ألف ضحيّة مدنيّة فلسطينيّة. هذا الاعتراف

> السنوار هو عنوان المرحلة، وهو الذي غيّر العالم وأعاد تشكيل تركيبته، سيؤثّر على إعادة تركيب منظومة السياسة في العالم العربي برمّته. «الكرامة» لا تُقاس بتأثير مرحلة «طوفان الأقصى» ورجال هذه المرحلة غيْر رجال المرحلة الغابرة

القانوني من شأنه في يوم من الأيام محاسبة إسرائيل أمام القانون الدولي عندما تقف من تحت سيطرة الدولة العظمى. يستطيع العرب ملاحقة إسرائيل بجرم قتل هذا العدد الهائل من الفلسطينيّين. والغريب أن إسرائيل اعترفت بذلك لأنها لم تكن في الماضي تعترف صراحةً بجرم الإبادة. لا تستطيع إسرائيل التراجع عن الاعتراف، وخصوصاً أنها لم تكن في الماضي تتحدّث عن أرقام. لعلّها أرادت لأسباب سياسيّة الزعم أمام جمهورها أنها قضت على القوّة العسكريّة لـ«حماس».

أصبح لدينا سرديّات متناقضة في الإعلام. الإعلام الغربي التقليدي (وتوابعه من الإعلام الصهيوني العربي وهناك تنسيقٌ أكيد بين الأنظمة الخليجيّة التي تسيطر على الإعلام العربي وبين دول الغرب الصهيونيّة من أجل ضخّ سرديّة صهيونيّة واحدة. ليس من المبالغة القول إنّ محطّة «العربيّة» و«سكاي نيوز» و«النهار» و«نداء الوطن» و«إل‌بي‌سي» و«إم‌تي‌في» كانوا أكثر تعصّباً للبروباغاندا الإسرائيليّة من الصحف الصهيونية هنا). لا تزال الصهيونية العالميّة تسيطر على سرديّة الإعلام السائد: نذر أنْ نشرت «وول ستريت جورنال» أو «نيويورك تايمز» أو «واشنطن بوست» سرديّة تُحيد عن الخطّ الإسرائيلي. وقد يكون إقصاء رئيسة تحرير «واشنطن بوست» أخيراً مرتبطاً بنشر الصحيفة لمقالةٍ عن الضغط الذي مارسه أثرياء اليهود على الجامعات والشرطة في نيويورك لقمع التحرّكات المناصرة لفلسطين. مقابل هذا الإعلام، هناك الإعلام الجديد (وتعريف الإعلام الجديد يختلف بين الشرق والغرب. في الغرب، يشير إلى تعبير مغاير للإعلام السائد عن الإعلام التقليدي عبر نشر صور وأخبار قلّما ترد في الإعلام التقليدي. في الشرق، لا يعني الإعلام «الجديد» إلا وسائل إعلام جديدة انطلقت بتمويل حكومات «الأطلسي» وسوروس من أجل ضخّ أجندة «الناتو» بين العرب). الكونغرس الأميركي يحارب «تيك توك» ويسعى إلى حظرها لأنّ مضمونها (بفعل إرادة المشاركين الحرّة) يكون أكثر انحيازاً إلى الحقّ الفلسطيني. ابتذلت إسرائيل تُهمة معاداة السامية وسيّستها، ما أفقدها عبر السنوات العقصة والأذى اللذين كانت تلحقهما بالهدف. في الماضي، كان إطلاق التُهمة ـ مجرّد الإطلاق ـ ضدّ شخص أو جمعيّة يكفي لنبذ الهدف وإقصائه عن المجتمع المهذّب. شعرت الصهيونيّة أنّ النقد ضدّ إسرائيل يتزايد، وأنّ تصنيف الأبرتايد بات معتمداً حتّى من قِبَل جمعيّات حقوق إنسان غربيّة كانت في الماضي خيرَ عون لإسرائيل ومصالحها. والوعي الطلّابي يزداد في كلّ جامعات الغرب، النخبويّة منها والشعبيّة، ما أفقد قادةَ اللوبي الإسرائيلي صوابَهم. أصبحت الحاجة إلى مرادف التخوين العالمي في الغرب: تُهمة معاداة السامية تخرج المرء من المجتمع ومن الوظيفة. كتب نورمان فينكلستين، وغيره، عن تسييس المحرقة واستخدام فظاعتها لتسويغ فظائع إسرائيل وإيجاد أعذار لوحشيّتها. ضاق الكثير في الغرب ذرعاً من أساليب إسرائيل الزجريّة والقمعيّة. إنّ فقدان إطلاق تُهمة معاداة السامية لفعاليّتها هو من جوانب إضعاف عمل المنظّمات الصهيونيّة العالميّة. ليس من وسائل أخرى جديدة لتفيد العمل الصهيوني غير التشهير وتشويه السمعة. هذه من سمات حقبةٍ جديدة من العمل الصهيوني في الغرب (لا تكترث الصهيونيّة العالميّة لأي من دول العالم النامي. الغرب ـ لأسباب عنصريّة عرقيّة وبسبب النفوذ الأميركي الهائل ـ هو الذي يعني قيادة إسرائيل، وهذه من إرث رؤية ديفيد بن غوريون).

أمّا عن تأثير كلّ ما يحدث على السياسة في العالم العربي، فهذا يحتاج إلى مسافةٍ زمنيّة لم تتوافر بعد، وخصوصاً أنّ الحرب لا تزال جارية. لكنّ الحرب لا تسير بما يلائم مصلحة إسرائيل، وهذا يعزّز من مأزق الأنظمة العربيّة التي عوّلت على نصر سريع لإسرائيل، وعلى قضاءٍ مبرم على حركة «حماس». نشاط محطّة «العربيّة» في الآونة الأخيرة يحاول أن ينقذ إسرائيل من مأزقها عبر اختلاقٍ سرديّة متخيّلة: إعلام الإمارات والسعوديّة يريد تصديقَ أكذوبة أنّ شعب فلسطين تحوّل ضدّ «حماس»، وأنه بات في مقلب سياسي آخر. والسياسة في العالم العربي ستتأثّر بصورةٍ عامّة بما يأتي:

أوّلاً، هناك قيادة سياسيّة وعسكريّة جديدة للحركة الوطنيّة الفلسطينيّة. السنوار هو عنوان المرحلة، وهو الذي غيّر العالم وأعاد تشكيل تركيبته، سيؤثّر على إعادة تركيب منظومة السياسة في العالم العربي برمّته. مرحلة «الكرامة» لا تُقاس بتأثير مرحلة «طوفان الأقصى» ورجال هذه المرحلة غير رجال المرحلة الغابرة التي انتهت بالترحيل المذلّ لمقاتلي المقاومة الفلسطينيّة عن بيروت في زوارقَ وبحراسة عدوّة.

ثانياً، انتهت منظمّة التحرير وماتت إلى الأبد. تحاول أصواتٌ مشبوهة الدعوة إلى الوحدة الفلسطينيّة أو إلى ضمّ «حماس» إلى منظمة التحرير. هذا لم يعد ممكناً. «حماس» هي اليوم منظمّة التحرير الفلسطينية وحركة «فتح» هي حركة القضاء على القضيّة الفلسطينيّة. ليس من حقّ الحركة التي تقود الشعب الفلسطيني إلى هزائم متلاحقة أن تستمرّ في المواجهة. سيكون هناك منظمّة جديدة تضمّ حركات المقاومة وتنطلق باسم الحقّ الفلسطيني. تستطيع أن تبقى حركة «فتح» كرمز للهزيمة والخيانة والعمالة لمصلحة جيش العدوّ.

ثالثاً، لقد فُضِح دور الأنظمة العربيّة. انتقلت من مرحلة الصمت إلى مرحلة المشاركة الفعليّة في الدفاع عن إسرائيل بأوامر أميركيّة. «وول ستريت جورنال» ذكرت دول السعوديّة والإمارات والأردن من ضمن المجموعة العربيّة التي دافعت عن إسرائيل في ليلة القصف الإيراني لإسرائيل.

رابعاً، تمّ الإطباق من قِبَل أميركا على المنظومة العربيّة الرسميّة وقضت على الفروقات (وإنْ كانت ضئيلة) بين الأنظمة العربيّة المختلفة. خامساً، قصّة أنّ إيران هي الدولة الوحيدة في كل العالم التي تجرؤ على مدّ المقاومات ضدّ إسرائيل ـ بصرف النظر إنْ كانت شيعيّة أم سنيّة أم يساريّة علمانيّة ـ يفسّر كلّ أسباب النقمة والعداء ضدّ إيران في الدول العربيّة وفي دول الغرب. حرمان الشعب الفلسطيني من حقّه في المقاومة هو الهدف. وهذا مشروع اللوبيات الإسرائيليّة في العالم: ضرورة منع الشعب الفلسطيني من حقوقه السياسيّة والإنسانيّة واعتناق عقيدة جو بايدن. جاريد كوشنير والتي تجعل من الاقتصاد مفتاحَ الحلّ على افتراض أنّ الشعب الفلسطيني منذ بلفور لا يستحقّ حقوقاً سياسيّة البتّة (وعد بلفور تحدّث فقط عن حقوق دينيّة ومدنيّة لـ«المجموعات غير اليهوديّة» في فلسطين وحتّى تحقيق الحقوق المدنيّة والدينيّة مستحيلٌ في دولةٍ يهوديّة لا تعترف بحقّ تقرير المصير إلا على أسس تفوّق العنصر اليهودي على غيره).

سادساً، لم يصل مستوى أداء الأنظمة العربيّة إلى هذا الدرك من قبل. هذا أدنى مستوى للأنظمة منذ النكبة. كلّ الأنظمة سواء في قبولها بمبادرة الاستسلام العربيّة للتطبيع مع إسرائيل. النظام السوري يُسهّل عمليّات المقاومة وإمداد السلاح، لكنه يقف عاجزاً أمام مئات الغارات الإسرائيليّة على مواقعه، والنظام لا يعد بإعداد خطّة لتحرير الجولان المحتلّ. لكنّ باقي الأنظمة متّفقة على مراضاة واشنطن والإصرار مهما ارتكبت إسرائيل من جرائم على طلب «حلّ الدولتين»، رغم رفض كلّ القوى والأحزاب الإسرائيليّة لهذا «الحلّ». ليس هناك من فروقات بين الأنظمة، والنظام الجزائري ـ بدلاً من مدّ المقاومة بالسلاح والعتاد ـ عبّر عن تضامنه مع فلسطين قبل أيّام عبر منح تبرّع مالي لسلطة العمالة والفساد والسرقة في رام الله. الجزائر وكل الدول العربيّة لم تنضمّ إلى دعوة جنوب أفريقيا أمام محكمة العدل الدوليّة. في زمنٍ آخر، كانت كلّ الدول العربيّة ستبادر إلى تقديم الدعوى قبل جنوب أفريقيا. هذا زمنٌ آخر لأنّ اللوبي الإسرائيلي يسيطر فعلاً على تحديد سقوف الدعم العربي اللفظي لقضيّة فلسطين. أميركا تسمح للأنظمة العربيّة بسقفٍ لفظي متدنٍّ للتعبير عن تأييد قضيّة فلسطين، وشاهدنا بأمّ العين ما تسمح به أميركا: الدعوات الخجولة إلى وقف النار من دون التهديد بعقوبات أو تغيير سياسات والدعوة المستمرّة إلى «حلّ الدولتَين». الدول العربيّة باتت بعد 11 أيلول أكثر امتثالاً للأوامر الأميركيّة.

سابعاً، الهوّة بين الأنظمة والحكّام نغمة قديمة في الثقافة السياسيّة في العالم العربي وفي الدراسات الأكاديميّة عن المنطقة. الحكّام يتأدون بالتطبيع مع إسرائيل وليس هناك من قاعدة جماهيريّة لهذا المطلب رغم إنفاق المال السخي لتغيير أمزجة الرأي العام العربي. حتّى الدول المُطبّعة تجد نفسها محرجة، والشعب في مصر والأردن لا يزال رافضاً تقبّل فكرة تواجد الإسرائيليّين في بلادهم. أميركا تضغط على الحكومات من أجل إحداث تطبيع شعبي، لكنّ استقرار النظام يبقى أهمّ من أوامر المصلحة الأميركيّة. الإسرائيليّة.

ثامناً، فقدت اتفاقات أبراهام مصداقيّتها وأهميّتها. الاتفاقات افترضت بطلان أهمّية ومركزيّة القضيّة. نظريّة جاريد كوشنير التي انطلقت من اللوبي الإسرائيلي طالبت بضرورة التركيز على عقد اتفاقيات منفردة بين الأنظمة العربيّة وبين إسرائيل. الحرب هذه وردود الفعل العالميّة، ورغم ضعف ردّة الفعل الجماهيريّة الشعبيّة، أعادت النظر بفرضيّات أبراهام. طبعاً، إدارة بايدن لا تزال تنظر إلى المنطقة من منظار الاتفاقيّات المنفردة، وخصوصاً الاتفاق بين السعودية وإسرائيل. والذي عرقل التوصّل إلى اتفاق بين المملكة وإسرائيل لم تكن المملكة (التي واظبت أثناء حرب الإبادة على التفاوض السرّي مع إسرائيل، وعلى التأكيد أنها مستعدّة كما كانت للتطبيع والسلام مع إسرائيل): الذي عرقل الاتفاق أثناء الحرب هو إسرائيل نفسها، التي لا ترى أنّ تطبيع المملكة يستحقّ أي تنازل من قبلها، وخصوصاً وعوداً بتحقيق دولة وإن لم يكن فورياً. مبدأ الدويلة الفلسطينيّة مرفوضٌ من كلّ أطراف السلطة في إسرائيل. وقد تراجعت السعودية عن مطالبها فهي بدأت بالقول إنها ستطبّع مقابل تحقيق دويلة فلسطينيّة، ثمّ عاد محمد بن سلمان وقال إنّ تحسين مستوى معيشة الفلسطينيّين يكفيه كشرطٍ للتطبيع. لكنّ هذا الانحدار لم يعد ملائماً بعد «الطوفان»، فعادت السعودية وقالت إنها تكتفي بجدول زمني غير فوري لتحقيق الدويلة، وهذا أيضاً كان مرفوضاً من قِبَل إسرائيل. وإدارة بايدن باتت تكتفي بهدف اتفاق أمني مع السعوديّة من دون ربطٍ مع قضيّة فلسطين. تريد نصراً دبلوماسيّاً قبل الانتخابات.

تاسعاً، سيكون هناك إعادة تشكيل العلاقة الشعبيّة والرسميّة مع الغرب وستصعد تيّاراتٌ وأحزاب تطالب بذلك بصرف النظر عن موقف الأنظمة.

عاشراً، ستكون كلفة ولاء المثقّفين العرب لأنظمة الخليج أعلى من قبل.

* كاتب عربي - حسابه على «إكس» @asadabukhalil

(هيثم الموسوي)

أوروبا إلى أين؟

ماجد نعمة *

النتائج التي خرجت من صناديق الاقتراع عشيّة التاسع من حزيران 2024 لاختيار 720 نائباً أوروبياً من 27 دولة عضواً في الاتّحاد الأوروبي، لمْ تكن مفاجئةً لأحد. فرغم الصعود الكبير لما يسمّى بالأحزاب اليمينية المتطرّفة، ما زالت الأحزاب اليمينية التقليدية والاشتراكية الاجتماعية، واليمينية الوسطية، التي لا تقلّ يمينيةً عنها مهمّاً تعدّدت تسمياتها، تشكّل الأكثرية في البرلمان الجديد. لذلك، إنّ موازين القوى التي أفرزتها صناديق الاقتراع ستسمح لهذه الأكثرية السابقة بالاستمرار بالتوجّهات السابقة عيْر فوزها بما يزيد عن 400 مقعد، ما ينيح للألمانية الأطلسية أورسولا فون دير لاين الحصول على ما يكفي من الأصوات للفوز بولاية ثانية كرئيسة للمفوضية الأوروبية شرط موافقة قادة الدول الأعضاء الـ27 الذين يشكّلون المجلس الأوروبي. وهي موافقة حسمها عملياً رؤساء الدول والوزراء الأوروبيون المجتمعون في بروكسل في قمّة غير رسمية نهار الإثنين 17 حزيران.

نظرياً، إذاً، لا جديد تحت الشمس. خاصة أنّ البرلمان الأوروبي محدود الصلاحيات (أهمّها الموافقة، أو بالأحرى البصم، على الميزانية التي يقرّرها المجلس الأوروبي والمفوضية). أمّا السياسة الخارجية والأمنية المشتركة (CFSP)، فهي الأخرى ما تزال خارج صلاحيات البرلمان وتُرسَم في واشنطن وفي قيادة الحلف الأطلسي كما حدث في حرب البلقان، والحرب على ليبيا، وكما هي الحال اليوم بالنسبة إلى حرب أوكرانيا.

الواقع أنّ أهمّية الانتخابات البرلمانية الأوروبية الأخيرة هي في كونها تجاوزت البرلمان الأوروبي لتلعب، من حيث لم تقصد، دور الصاعق في تفجير عدد من القنابل الموقوتة التي قد تؤدّي، على المدى المتوسّط، إلى نسف الاتّحاد الأوروبي من أساسه، أو على الأقل، تغيير بنيته الحالية القائمة على تسلّط غلاة الليبراليين والتكنوقراط غير المنتخبين على مفاصلها، وعلى العمل الدؤوب للقضاء على الأمم المكوّنة للاتّحاد لمصلحة المناطق والأقاليم. هذه السياسة القائمة على التقشّف، والعولمة المتطرّفة، والقضاء على ما بقي من قطاع عامّ خاصّةً في مجال التعليم والصحّة والرعاية الاجتماعية، باءت بالفشل ولم تؤدّ إلّا إلى الحطّ من مكانة الاتّحاد الأوروبي كمشروع محتمل لقطب دولي جديد تمّ وأدُه في المهد. هذا الإفلاس هو الرسالة الأولى والأهمّ التي وجّهها الناخبون الأوروبيون إلى حكّامهم، أي رفض التبعيّة للمركز الأميركي ورفض الانخراط في حربه ضدّ روسيا اليوم والصين غداً والعودة إلى المشروع الأساسي للوحدة الأوروبية كما رأود ديغول، أي وحدة الأمم والشعوب لا وحدة السوق والتكنوقراط، كما آل إليه الأمر اليوم.

على ضوء ما نجم عن هذه الانتخابات، ليس من المبالغة القول إنّ فرنسا وألمانيا، بصفتهما أكبر دولتين أوروبيتين، وبصفتهما الدعامة التاريخية للمشروع الأوروبي ومحرّكه الطبيعي، باتتا اليوم، خاصّة بعد أربع سنوات من خروج بريطانيا منه، أمام مفترق طرق مصيري. فالحلم الأوروبي كقطب مستقلّ على الساحة الدولية وكواحة سلام وازدهار تحوّل إلى كابوس. الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والإيديولوجية تتوالى الواحدة تلو الأخرى في معظم دول الاتّحاد، وشبح الحرب الأهلية يلوح في الأفق في أكثر من بلد، والحرب النووية تقرع طبولها ولم تعد مجرّد سيناريو هوليوودي من نسج الخيال.

كلّنا يذكر التصريحات المقزّزة وغير الديبلوماسية التي أدلى بها جوزيب بوريل، في 13 تشرين الأول/أكتوبر 2022، والذي كان يشغل آنذاك، وما زال، منصب نائب رئيس المفوضية الأوروبية والممثّل الأعلى للاتحاد الأوروبي للشؤون الخارجية والسياسة الأمنية، أمام رهط من الديبلوماسيين الأوروبيين المرشّحين لتولّي مناصب عليا في الاتّحاد الأوروبي في المعهد الديبلوماسي في مدينة بروج البلجيكية. في هذه المحاضرة، لم يتردّد بوريل في وصف الاتّحاد الأوروبي بـ«الحديقة» المحاطة بـ«الأدغال» التي من الممكن أنْ تسوّل لها نفسها أن تزحف عليها وأنْ تغزوها! لقد بنى الأوروبيون «حديقة كل ما فيها يعمل. إنها أفضل نموذج في الحرّية السياسية والازدهار الاقتصادي والتماسك الاجتماعي الذي تمكّنت البشرية من تحقيقه في أيّ معاً».

الناخبون الأوروبيون رفضوا بصراحة العيش في هذا حديقة والكثيرون منهم يضعون في رأس مطالبهم الخروج منها. البريطانيون كانوا السبّاقين إلى ذلك عندما صوّتوا بأكثرية مريحة على الهروب منها ومن بيروقراطيتها وتكنوقراطيها.

وحتى مارين لوبن، الزعيمة الفعلية لحزب التجمّع الوطني، الذي حصد أكبر عدد من المقاعد المخصّصة لفرنسا داخل البرلمان الأوروبي الجديد، والتي تُرشّحها استطلاعات الرأي للفوز بأكثرية نسبية، لا بل مطلقة، في الانتخابات القادمة، ترفض مقولة بوريل وتعلن ـ في مقابلة مع صحيفة «بيريوديكو» الإسبانية ـ أنّ «الاتّحاد الأوروبي أصبح يشكّل خطراً على الدول الأعضاء، ما يشير إلى ضرورة إعادة هيكلته». وأضافت: «أصبح يشكّل خطراً على جميع الدول الأوروبية... الاتّحاد الأوروبي ليس أوروبا، ولكنه مجرّد شكل خاص من التعاون القارّي الذي أظهر، على مدى عقود عدّة، أنه لا يجلب سوى فائدة قليلة لاقتصاداتنا وبلداننا». الزلزال الذي فجّرته الانتخابات الأوروبية ستكون له هزّات ارتدادية عميقة كما ذكرنا بالنسبة إلى فرنسا وألمانيا، واستطراداً بالنسبة إلى مستقبل الاصطفاف الأوروبي في النظام العالمي الجديد الذي بدأ يتبلور منذ سنوات، وخاصّة مع عودة الحرب الباردة تدريجياً ابتداء من خطاب بوتين المفصلي في ميونيخ عام 2008 مروراً بالحروب الملوّنة والربيعيّة منذ 2010 والانقلاب الأميركي في أوكرانيا عام 2014 ثمّ عام 2022.

بالنسبة إلى فرنسا، ومهما تكن نتائج الانتخابات النيابية في السابع من تموز/يوليو، فستشكّل ضربةً قاضية للجمهورية الخامسة التي أسّسها الجنرال ديغول على أنقاض الجمهورية الرابعة التي تميّزت بعدم الاستقرار الحكومي وبالحروب الاستعمارية («الهند الصينية، الجزائر، وعدوان السويس والدعم المطلق للكيان الصهيوني ووصول ذلك إلى حدّ مدّه بالسلاح النووي).

ومن المتوقّع أنْ يفوز حزب التجمّع الوطني بزعامة مارين لوبن بأكبر عدد من المقاعد، والتالي بترؤّس الحكومة المقبلة حتّى نهاية ولاية ماكرون في منتصف عام 2027. ولكنّ هذا السيناريو لن يتحقّق إلّا إذا نال الحزب أكثرية مطلقة تعطيه كامل الصلاحيات لفرض برنامجه. وفي هذه الحال، سيضطرّ ماكرون إلى التعايش معها وتحمّلها لمدّة سنة يستطيع بعدها حلّ البرلمان مرّة ثانية. وقد أعلن جوردان باردیلا، مرشّح مارين لوبن لشغل منصب رئيس الوزراء، أنه سيرفض هذا المنصب في حال حصول حزبه على مجرّد أكثرية نسبية. وتجدر الإشارة إلى أنّ مارين لوبن هي ابنة جان ماري لوبن مؤسّس الجبهة القومية العنصرية المعادية للمسلمين وللّيهود، وقد قامت بالانقلاب عليه وتغيير اسم الحزب وتعديل برنامجه الانتخابي إلى حدّ التماهي مع اليمين التقليدي باستثناء مناهضة الهجرة ومعاداة المسلمين. وقد تبنّت، بعد السابع من تشرين الأوّل، مواقف مؤيّدة بالمطلق للسياسة الإسرائيلية، ما جعلها تستميل أصوات اليمين الصهيوني وكان أخرهم سيرج كلارسفيلد، أحد أقطاب اللوبي الصهيوني الذي نصّب نفسه مطارداً لبقايا النازيين وقد أعلن عن استعداده للتصويت لحزب لوبن بسبب تأييدها لـ«اليهود ولإسرائيل».

أمّا الوعود الانتخابية حول الخروج من الاتّحاد الأوروبي ومن الحلف الأطلسي ومن التحالف العضوي مع الولايات المتّحدة والموقف الموالي لروسيا، فقد اختفت بسحر ساحر من برنامجها، على الأقلّ حتّى وصولها إلى قصر الإليزيه. في كلّ الأحوال، ومهما تكن نتائج الانتخابات، فإنّ فرنسا ستدخل دوامةً من الفوضى وعدم الاستقرار ستعيدها إلى الجمهورية الرابعة وتقلّباتها.

عندما عمَدَ ماكرون إلى حلّ البرلمان، أسرّ لبعض مستشاريه القائل أنه أراد أنْ يرمي قنبلة انشطارية في الملعب السياسي لكي لا يخرج أحدٌ منه سالماً. والجبهة الشعبية اليسارية وُلدت منقسمة على نفسها، خاصّة بسبب الموقف من غزّة وحرب أوكرانيا. أمّا اليمين التقليدي الديغولي، فمن المتوقّع أنْ يختفي عملياً من اللعبة خاصّة أنّ مارين لوبن استولت على ترائهم التاريخي، إذ إنها لا تترك مناسبةً إلّا وتدّعي فيها الاقتداء بديغول.

ألمانيا ليست بأحسن حال من جارتها الفرنسية. فالائتلاف الحاكم الذي يقوده المستشار شولتز وحلفاؤه الخضر والليبراليون، تلقّى، هو الآخر، هزيمة نكراء سترغمه، مهْما كابر، على إجراء انتخابات مبكرة سيفوز بها حزب مركيل.

كلّ هذا لا يبشّر بالخير بالنسبة إلى مصير الاتّحاد الأوروبي. وقد تأتي الضربة القاضية من «الحليف» الأميركي مع عودة ترامب المتوقّعة إلى البيت الأبيض ومع الهزيمة المؤكّدة للنظام الأوكراني.

* رئيس تحرير مجلة «2A magazine»

الأخبار
al-akhbar
السبت 22 حزيران 2024 العدد 5228

هوامش على دفتر «الطوفان»

فخ قاتل اسمه جوائز الغرب الليبرالي

مها الحسيني... كوني «شجاعة» واصمتي!

نزار نصر

صدق مَن قال إنّ الليبراليّين لن يقفوا إلى جانبك إلّا في حال ارتضيت أن تبقى مظلوماً، خدمةً للصورة التي يريدون تسويقها عنك. حالما تقرّر أخذ الأمور على عاتقك والكفاح بنفسك، سوف تجدهم متكتّلين ضدّك، ينعتونك بأشدّ تهم «الإرهاب» والتطرّف، غير آبهين لنفاقهم المفضوح كونهم اعتنقوا التطرّف أنفسهم، وغير مكترثين لصورتهم ما دام لا قضيّة يتبنّونها تسمو فوق المصالح. هذا الكفاح قد لا يكون أكثر من مجرّد فضح موبقات كيان احتلالي وارتكاباته. فكما قال الأسير السياسي في سجون غرب النفاق، جوليان أسانج: «إحدى أهمّ طرق تحقيق العدالة هي فضح الظلم». أيديولوجية أسانج هذه هي ما أدّى إلى اعتقاله وعزله بطريقة غير شرعية لمجرّد قيامه بعمله الصحافي الحرّ، بعيداً عمّا تشتهيه الإمبراطورية الأميركية وأدواتها ومغفّلوها المفيدون.

تصادم هذه الأيديولوجية مع نفاق الغرب بليبراليّيه ومحافظيه يشهده العالم كلّه منذ ثمانية أشهر ونيف من تضييق على صحافيّين فلسطينيّين لم يعودوا يقومون بواجبهم المهني فقط، بل يصارعون أيضاً من أجل البقاء قبل أن تصل آلة الإبادة الإسرائيلية إليهم، تماماً كما سبق أن وصلت إلى ما فاق المئة منهم! باتت معارضة الحروب توقعك تحت الضغوط ولو كانت المقصلة على رقبتك. فإمّا أن تخضع مستسلماً لشيئة الليبرالية الجماعية ببقائك رهينة الظلم ولو استدعى الأمر «التضحية» بك، أو أنّ بقاءك على هذا الكوكب لن يكون سلساً، وستواجه مصاعب شتّى تبدأ بمحاولة تدمير حياتك المهنية. هذا الاستقواء والاستكبار من أسباب أفول الغرب الجماعي العتيد، ولكنّهما في الوقت عينه أحد أسس وجوده، وهو ما يتسبّب في النفاق الآنف ذكره. وعندها ليس عجيباً أن تشارك فيه منظّمة ليبرالية تدّعي مناصرة حقوق المرأة، ولا أن تستند تلك المنظّمة إلى وشايات من «الخصوم» المحافظين.

هكذا، بكلّ خبث ومكر، سحبت «منظّمة الإعلام الدولية للمرأة» (IWMF) جائزة «الشجاعة في الصحافة» لعام 2024 من الصحافية الفلسطينية، المراسلة في قطاع غزّة، مها الحسيني، يوم الأربعاء الماضي. وكانت المنظّمة قد أعلنت أخيراً عن فوز الحسيني بالجائزة التي «تكرّم الشجاعة الملحوظة سعياً وراء التغطية الصحافية». المفارقة أنّ القرار الوقح جاء بعد «وشاية» من موقع «واشنطن فري بيكون» الأميركي الذي أسّسه ثلاثة محافظين عام 2012، وله تاريخ في استهداف مؤيّدي القضية الفلسطينية، وسبق أن وصفته مجلّة «ذي أتلانتيك» بأنّه «منحطّ وغير أخلاقي». نشر الموقع مقالاً لكاتبته آلانا غودمان زعمت فيه أنّ الحسيني «مؤيّدة لحماس ومعادية للسامية»، مستشهدةً بنشر الصحافية الفلسطينية كاريكاتوراً على صفحاتها الافتراضية ينتقد حرب الإبادة، بالإضافة إلى منشورات تنقل تجربتها الخاصّة كامرأة فلسطينية محاصَرة تحت الاحتلال. واعتبرت المنظّمة أنّ هذه المنشورات «تتعارض مع قيَمها»، مدّعيةً أنّ جائزتها «تستند إلى النزاهة ومعارضة التعصّب».

سحبت منظّمة IWMF جائزة «الشجاعة» من الصحافية الفلسطينية مها الحسيني بعد ضغوط صهيونية

لم يكن القرار مفاجئاً، ويمكن اعتبار تقرير الصحيفة الأميركية بمنزلة الحجّة التي ارتأتها منظّمة IWMF مخرجاً لنفاقها. بمجرّد إلقاء نظرة على المنظّمة التي تتّخذ من واشنطن مقرّاً لها، تذوب كلّ علامات الاستفهام: يضمّ مجلس إدارتها ومجلسها الاستشاري أسماء شخصيّات بارزة في الإعلام الأميركي، مثل الصحافية السابقة في شبكة «سي. أن. أن» سوزان مالفو، والكاتبة في صحيفة «واشنطن بوست» هانا علّام، والمذيعة التلفزيونية كريستيان أمانبور. وإذا كانت هذه الأسماء لا تعطي فكرة واضحة بالضرورة عن توجّهات المنظّمة، فإنّ لائحة الجهات المانحة كفيلة بانقشاع الضباب: «بنك أميركا»، و«مؤسّسات المجتمع المفتوح» المملوكة لجورج سوروس، ومؤسّسة Luminate التي أسّسها الملياردير الأميركي ذو الأصول الإيرانية الفرنسية بيار أميديار مع زوجته، وهو أحد مانحي الحزب الديموقراطي الأميركي.

وتصف المنظّمة نفسها بأنّها «جريئة وشاملة تدعم الصحافيّين أينما كانوا»، مدّعيةً أنّ عملها «يعزّز تكافؤ الفرص وحرّية الصحافة في أنحاء العالم».

هذا الواقع كان وراء عدم حدّة ردّ فعل الحسيني، ولو أنّها أعربت عن استيائها منه، فقالت الصحافية «إنّ الفوز بجائزة الشجاعة يعني التعرّض للهجوم واختيار مواصلة عملك بغضّ النظر عنه، ورغم ذلك، يؤسفني القول إنّ المنظّمة ذاتها التي أدركت هذه الظروف المحفوفة بالمخاطر ومنحتني الجائزة، استسلمت للضغوط واختارت أن تتصرّف بما يتعارض مع الشجاعة». وأضافت في منشور لها على X إنّه «بدلاً من الاعتراف بالتهديدات التي يواجهها الصحافيّون الفلسطينيّون والمساهمة في حمايتهم، فإنّ قرار سحب جائزة من صحافية فلسطينية في غزّة يمكن أن يزيد من تعرّضهم للخطر واحتمال استهدافهم». وقالت الحسيني إنّ قرار المنظّمة عرّض حياتها للخطر، مشيرةً إلى أنّ «كلّ إعلان عن منح جائزة لصحافي فلسطيني تتبعه بشكل منهجي حملات تشويه واسعة النطاق وضغوط مكثّفة على المنظّمات المانحة للجائزة من مؤيّدي الاحتلال الإسرائيلي. وفي حين يتمسّك بعض المنظّمات بمبادئه، إلّا أنّ البعض الآخر يرضخ للأسف للضغوطات ويسحب الجوائز». وأكملت أنّه «إذا كان الفوز بجائزة يستلزم تحمّل جرائم الحرب ومشاهدتها مع التزام الصمت، فلا يشرّفني الحصول على أيّ جائزة. سأكون دائماً موضوعية في تقاريري، ولكن لا يمكنني أبداً أن أكون محايدة؛ سأشير دائماً إلى الجناة وأتضامن مع الضحايا. هذا ما تعنيه الصحافة حقّاً».

من جهته، أدان موقع «ميدل إيست آي» الذي تعمل فيه مها الحسيني القرار الذي «اتُّخذ من دون التشاور معها». وقال رئيس تحريره ديفيد هيرست: «لم تبدِ المنظّمة شجاعة كبيرة في سحب جائزة الشجاعة من مها الحسيني. ففي الخطوط الأمامية للحرب، لا يعدو هذا التصنيف كونه محاولة لتدمير مكانة مها كصحافية مستقلّة. هذا التصنيف يضعها على قائمة المستهدَفين من الجيش الإسرائيلي، كونها فلسطينية تعرّض منزلها للقصف وأُجبِرت على الفرار للنجاة بحياتها مرّات عدّة خلال الأشهر الثمانية الماضية». وأشار هيرست إلى استشهاد أكثر من 150 صحافيّاً، مقترحاً «أن يسألوا أنفسهم أين تقع مسؤوليتهم كصحافيّين». يُذكر أنّ الحسيني نشرت منذ بدء حرب الإبادة عشرات التقارير الصحافية على الموقع المذكور، بما في ذلك تقرير يكشف عن الإعدامات الميدانية التي ارتكبتها قوات الاحتلال بحقّ الفلسطينيّين، واستخدمته جنوب أفريقيا كدليل في قضيّتها المرفوعة ضدّ كيان الاحتلال في «محكمة العدل الدولية».

مفكرة

عيناتا في عيني
آلاء منصور

«ربّما هذا المكان غير موجود.
ربّما هذا مكان في فيلم خيالي لا يبدو أنه قد وصل إلى نهايته.
في البداية، هناك وفاة للذاكرة»، بهذه الكلمات تصف المخرجة اللبنانيّة آلاء منصور، المنطقة الجنوبيّة «عيناتا»، التي تؤدي بطولة فيلمها الذي يُعرض يوم 26 حزيران (يونيو)، في متحف «سرسق» بالتعاون مع «أشكال ألوان».
يستعرض الفيلم القرية الجنوبيّة التي يحمل العمل اسمها عبر مجموعة من الصور والأصوات، ويحاول رسم خارطة لروايات سكّانها، فتتشابك صور أرشيف القرية مع مشاهد الحاضر بعينَي المخرجة.

عرض فيلم «عيناتا»: الأربعاء 26 حزيران (يونيو) - الساعة السابعة والنصف مساءً - متحف «سرسق» (الأشرفيّة). للاستعلام: 01/202001

«غديريّة بيروت»:
أبحاث وقراءات

في مناسبة عيد الغدير، ينظّم «المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى» ندوة تتناول كتاب «الغدير والإمامة: بحوث في الاجتماع والإنثروبولوجيا وفلسفة الدّين والتاريخ» يوم 25 حزيران (يونيو) في مركز المجلس تحت عنوان «غديريّة بيروت». يُفتتح اللقاء بكلمة من نائب رئيس المجلس، العلامة الشيخ علي الخطيب (الصورة)، ثمّ يتناول الكلمة الشيخ محمد أحمد حجازي والأكاديمي ميشال كعدي، أمّا الأكاديمي علي قصير، فيتولّى إدارة الندوة التي تُختتم بعرض لإصدارات المجلس، بما فيها الكتاب الذي تتناوله الغديريّة.

ندوة بعنوان «غديريّة بيروت»: الثلاثاء 25 حزيران (يونيو) - الساعة الخامسة والنصف عصراً -مقر «المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى» (طريق المطار، بيروت). للاستعلام: 71/526075

ألف وردة
و«وردة للعمّال»

في الماضي، ترافق إعلان قيام دولة لبنان الكبير مع حراك مطلبي عمالي نما وبانت ملامحه بالتوازي مع نمو البلد، لكن مع الأزمة الاقتصادية التي بدأت في عام 2019، يغرق عمّال لبنان اليوم في عتمة البطالة وتآكل حقوق ومكتسبات حاربوا لأجلها على مدى عقود. تروي المخرجة ديمة أبو رجيلي، في فيلمها «وردة للعمّال»، سيرة النضال العمّالي، من خلال استعراض حياة وموت أشخاص خاضوا معارك حقوقيّة ولا تزال أصواتهم في ذاكرة هذا البلد، وكان لهم الفضل في إقرار قانون للعمل، وتعديل المادة 50، وتصحيح الأجور، والحق في الضمان الاجتماعي والحق في تشكيل نقابات. يدعو «نادي لكلّ الناس»، بالتعاون مع «جمعيّة السبيل الثقافيّة»، إلى حضور الفيلم الذي سيُعرض يوم 25 حزيران (يونيو) في «المكتبة العامّة لبلديّة بيروت».

عرض فيلم «وردة للعمّال»: الثلاثاء 25 حزيران (يونيو) - الساعة السابعة مساءً - «المكتبة العامّة لبلديّة بيروت» (مونو). للاستعلام: 03/888763

«أشكرة»:
ارتجال صيداوي

انطلقت فرقة «أشكرة» في عرضها الأوّل عام 2022، بعدما انهمكت سنة كاملة في التمرين المتواصل بهدف خلق أداء ارتجالي جماعي، مستمد من الموسيقى العربية الشعبية والفولكلورية. تتألف الفرقة من الموسيقي فرج حنّا (بزق) وخالد عمران (باص) وخالد ياسين (درامز وإيقاع)، ويعمل أعضاء الفرقة على تعزيز العلاقة الإنسانيّة والموسيقيّة بينهم، ليتمكنوا من تأدية أفضل ارتجال موسيقي ممكن أمام الجمهور بروح واحدة. وبعد قبول الجمهور لثلاثية «أشكرة»، أصدرت الفرقة أخيراً، ألبومها الأوّل بعنوان «شردت الغزالة»، وأقامت جولة عروض في أنحاء لبنان، من بينها حفلة تُقدّم اليوم في «متحف الصابون» في مدينة صيدا.

حفلة لفرقة «أشكرة»: اليوم - الساعة السابعة مساءً - «متحف الصابون» (صيدا). للاستعلام: 03/887688

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

رئيس التحرير
ابراهيم الأمين

مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

المدير الفني
صلاح الموسى

المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 01/ 666314 ـ 03 / 828381
الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 22 حزيران 2024
العدد 5228 السنة الثامنة عشرة
Samedi 22 Juin 2024 no 5228 18ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

الإبادة ثقافيّة أيضاً

سعيد محمد

العقل الإسرائيلي الذي تأسس على منطق «أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض» لم يكن – وفقاً لنصوص موثقة - غافلاً في أي لحظة عن وجود الفلسطيني كنقيض ينفي معادلة التأسيس تلك، ولم يحدث أن ترددت القيادات التي تولت إدارة الكيان منذ ما بعد انكسار الثورة الوطنية الفلسطينية (1936 – 1939) في اعتماد مثلث الإبادة- التهجير-الإلغاء، إستراتيجيّةً مرجعيّة لفرض واقع عبريّ على الأرض: ذبح استعراضيّ لكل من تصل إليه اليد الصهيونيّة من سكان فلسطين العرب حتى من عاهدهم منهم على الصلح، ثم دفع الناجين نحو هجرة قسريّة، متوافق عليها مع الأنظمة العربيّة، يليها برنامج إلغاء مكثّف لكل أثر مكاني للفلسطيني يمكن أن يعتد به يوماً للعودة: أمنزلاً كان أو مؤسسة خاصة، أو بنية مجتمعية.

في غزة اليوم، يستعاد مثلث الإستراتيجية المرجعية بحذافيره: إبادة ممنهجة للسكان (يصل عدد ضحاياها في بعض التقديرات التي لا تثق بأرقام الطرفين الرسميّة إلى ربع مليون نسمة حتى الآن، إلى جانب عشرات الآلاف من الجرحى والمعوقين)، وتجويع وتعطيش وإرهاب وتهجير محليّ للوصول بالناجين إلى نقطة الفرار بالنفس من موت محقّق، يوازيه تدمير دقيق لكل مقومات البقاء المكاني-البيئي للفلسطيني فرداً ومجتمعاً.

واللافت أن هذا التنفيذ الأحدث للإستراتيجية الإسرائيلية المرجعيّة الذي يتم بتأييد وتفهّم ومشاركة فاعلة أحياناً من قبل القوى الغربيّة والأنظمة العربيّة، يمرّ بلا موقف تقريباً من الكتلة الأهم للمشتغلين في الثقافة والأكاديميا والأدب في العالم العربي التي تشاغلت عن شلال الدّم الفلسطيني المهدور بكل أمر سوى الدم المهدور. الكتلة نفسها التي انتفضت ذات ربيع مزوّر ضد الأنظمة الوطنية، وخرجت عن أطوارها المحليّة لتدعم نضالاً مزعوماً للمرأة الإيرانيّة، لم تجرؤ حتى على إدانة تقنية لما يجري على صعيد الإبادة الثقافية متمثلاً بالشطب المتعمد لكل مؤسسات التعليم والثقافة والمواقع الأثرية في قطاع غزة. لقد وثّقت منظمات محليّة وأممية مثلاً استهدافاً موازياً لحرب الإبادة الجماعيّة ضد السكان للمساس بكل المواقع الأثرية في قطاع غزة ومعالم تاريخها الممتد لآلاف السنين، بما في ذلك ما لا يقل عن 200 موقع مسجّلٍ على قوائم مختلفة للتراث الإنساني تعرضت للتدمير الكامل، إلى جانب تفجير مباني كل الجامعات والكليّات والمكتبات والمؤسسات الثقافية ومعظم المدارس.

هذا الخذلان التاريخي الأبعاد من قبل الكتلة الأهم للمشتغلين العرب في الثقافة والأكاديميا والأدب للشقيق الفلسطيني يزداد اسوداداً مع مبادرات ذاتية يقوم بها مشتغلون في الثقافة حول العالم. من أوسلو مثلاً، دبّج سبعون من موظفي المتحف الوطني النرويجي عريضة الأسبوع الماضي ضدّ إدارة المتحف طالبوها فيها بدعم النداءات إلى وقف إطلاق النار في غزة، وقيادة الدعوة لحماية التراث الثقافي الفلسطيني. وقد نظمت المجموعة من خارج البرامج الرسميّة للمتحف عرضاً من أجل فلسطين تحت شعار «الثقافة ضد الإبادة الجماعية»، وجمعوا توقيعات مؤيدة لعريضتهم من حوالى 2000 فنان ومتحفيّ ومشتغل في الثقافة.

هؤلاء السبعون، المقيمون على حدود القطب الشمالي في أبعد نقطة أوروبيّة عن غزة قالوا إن «الاعتصام بالصّمت، وعدم قول أي شيء عما يحدث في غزة اليوم، هو بمنزلة سكوت وموافقة ضمنيّة على الإبادة الجماعية، وتدمير لجزء من تراثنا الثقافي الإنساني المشترك». أما هنا، في جوار فلسطين، فلا حياة لمن تنادي، لا مثقفين، ولا غيرهم.

ملف

المراهق الذي نفر من المجتمع الاستهلاكي في أميركا الخمسينيات

بول أوستر شيّد عزلته في غرف النوم البخسة

بول مخلوف

قد تكون الجملة التي أدلى بها الروائي الأميركي الراحل بول أوستر (1947 ـ 2024) عام 2017: «أريد أن أقلب كل شيء رأساً على عقب» كافية لتلخيص سيرة حياته برمّتها ومشواره الكتابيّ كذلك. مولود من عائلة لم تعرف الفقر والعوز، بيد أنّ خلافات متكررة بين الأب والأم حول قيمة المال وكيفية إدارتـه أنهت زواجهما، وأسبغت حالة (مبكرة) من الارتباك والتخبط عند الابن جعلته يواجه ضيقاً وتعثراً كلما بانت أمامه أهمية المال وانكشفت ضرورته في تيسير أمور العيش.

كان بمقدور بول أوستر أنْ يكون ابناً مدلّلاً ينعم بوسادته المريحة، لكنه اختار وعورة الطريق. لربما هو أرقٌ أصابه باكراً أشعل في داخله رغبة في المشي، والتفكير أثناء المشي على حساب النوم. أرقٌ ورغبة لربما عزّزهما نفور أوستر من عادات أهله ومن مجتمع أميركا الغارق في المادية في نهاية الخمسينيات. مهما يكن، لقد ارتدّ أوستر على فطرته

> أدبه عن ديستوبيا المدن، وهشاشة الكائن الإنساني، وحالات الفشل والكآبة والموت التي طاردته منذ أن كان فتياً

> في سيرته الذاتية «تباريح العيش... سيرة الشباب» التي صدرت أخيراً بالعربية، يبدو كأنه جالس على كرسي الاعتراف

وانقلب على «وضعيته الجاهزة». لم يأبه بمنزل محصّن إنّما شيّد عزلته في غرف نوم بخسة، اختار العمل في تركيب أجهزة كهربائية في البيوت عوضاً عن اعتماده على مصروف مالي ممنوح من العائلة. وبدلاً من أن يرث بالاً هنيئاً ـ ولو ورث، متأخراً، أموال والده بشكل لم يكن يتوقعه على إثر وفاة الأخير ـ ورث شعوراً بالاغتراب، والكدر، وحسّاً دائماً بالتفسخ والفقدان. مشاعر ستسكن أوستر حتى مماته، كلما تغوّل في وحشتها وغربتها تكشّفت لغة مخبوءة، جوانية، لكنها قيد التكوين، وعند نضوجها أصبحت ترياقاً له في وسط عالم موبوء وغث، سيسخّرها ببراعة لاحقاً في سرده ديستوبيا المدن، وهشاشة الكائن الإنساني، وحالات الفشل والكآبة والموت التي طاردته منذ أن كان فتياً.

لقد لخبط بول أوستر مسار حياته وقلبها رأساً على عقب. قبل تلك «الحرب الإيديولوجية» التي نشبت بين والديه على خلفية المال، لم يهنأ بال أوستر ولم يعرف الطمأنينة: «كانت سعادتي مشوبة دائماً بجرعات من القلق لأنني كنت أعرف بالضبط ما سيقوله أبي عندما يتلقى الفاتورة». هكذا، اقترف قطيعة جدية مع كونه ابن عائلة ثرية، غير واعية أنها جاثمة تحت استبداد سلطة المال، تتخاصم طيلة الوقت حول مسائل الإنفاق والتبذير، ليتعامل مع وجوده تبعاً للمقولة (الوجودية) الشهيرة: «الإنسان مقذوف في هذا العالم». شقّ أوستر طريقه الخاصة من دون أن يكترث بأنّ الطريق التي شقّها محفوفة بالشوك والندوب. اختار، بقرارة نفسه، السير حافياً في وحشة الطريق، لكن الآن بإمكاننا أن نفهم بأنّ انزياحه عن السياق ليس إلا اعتكافاً بوجه ما شغله دائماً: المصير.

حين اقترب أوستر من الأدب، أي بعدما تمخّضت لغته واستوت، أو حين «اختارته» الكتابة كما كتب، قلب مرةً جديدةً كل شيء رأساً على عقب. بدأ الأمر في إحدى الليالي حين فكّر في كتابة رواية بوليسية لها عمارتها المختلفة: «في نهاية القصة (البوليسية) عندما تنحلّ في آخر المطاف جميع خيوط الحبكة التي كانت معقّدة، نكتشف أنّ الشخصية السيئة هي المسؤولة، فعلاً، عن هذا الموت. تساءلت: لماذا لا نغير هذه الطريقة رأساً على عقب؟ لماذا لا نبتكر قصة ينكشف فيها أنّ الموت الظاهر كان انتحاراً؟ ففي حدود علمي، لم يسبق أن حدث هذا الأمر». كتب أوستر روايته البوليسية هذه ولم تحظ، مثل الكثير من أعماله في مرحلة الشباب بالاهتمام. لكن اندفاع بول أوستر لم ينضب. كان أحد ملهمي أوستر، مسرحيّ العبث صامويل بيكيت الذي قد أفصح يوماً «هل فشلت؟ لا يهم، حاول مرة أخرى، افشل مرة أخرى لكن فشل بشكل أفضل».

استمر بول أوستر في الكتابة، والتجريب، ونزع الشوك عن حياته. رمى في سلّة المهملات ما يفوق عن الألف صفحة من كتاباتٍ اعتبرها هزيلة، أخفق في كتابة مسرحيات مثيرة غير غارقة في الإطناب، وبقيَ شاعراً مغموراً في الأوساط النيويوركية. وبالرغم من هذا، لم يطحه اليأس. بقي حالماً متمسكاً بحلمه بأن يصبح كاتباً غارقاً في الكتابة لا يمتهن أي وظيفة سواها. كاتب متأثر بباريس والسريالية بقدر ما هو متأثر بإدغار آلن بو وشارل ديكنز، وبنيويورك بكل ما تحويه من أبنية ودهاليز، ومشردين وملعونين كان معظمهم ضحايا قدرهم حيث انقلبت حياتهم فجأةً رأساً على عقب. اتسمت رواية بول أوستر بملامح هؤلاء وبأثرهم. استمد أبطاله من هذه الشخصيات التي تعرّض مسارها الوجودي إلى التواءٍ بشكل اعتباطيّ، غير مفهوم ولا عقلانيّ بفضل قوّة المصير العمياء، وعليه، سيركّب حبكته بناءً على هذه التحوّلات العشوائية. سيستهل قصصه برصد التحوّل/ الحبكة: ورود مكالمة هاتفية من مجهول غريب، رجل يرمي نفسه من طابق شاهقٍ، موت غير متوقع لأب، ليعيد صياغة الحدث بالتفاصيل ضمن بناء سردي متين. سنجد في نهاية المطاف أدباً على قدر كبير من الغرابة والعبثية، بيد أنه أيضاً على قدر كبير من الألفة واحتمالية الحدوث. فالوجود عند بول أوستر عرضيّ، ممكن، تحكمه المصادفة، والراوي الذي أسر نفسه في جغرافيا الأدب خوفاً من موتٍ مباغت، كان عرضةً لأن تقتله صاعقة، لكنه نجا بفضل الحظ: «لحظات قليلة أنقذتني من الموت، لو أن البرق تأخر نصف دقيقة، لكان أصابني أنا وليس التلميذ. لماذا حدث الأمر على هذا النحو؟ من قرر أن يموت التلميذ وليس أنا. الصدفة».

تغدو الرواية عند أوستر أشبه بمحاكاة لواقع حدث أو واقع في طور الحدوث. هكذا يدنو الأدب من الحقيقة، بل يبدو الأدب حقيقياً للغاية؛ نقرأ أوستر ونرى الفضاء المسرود مرسوماً أمامنا بل نكاد نتعرف إليه: عمارات كبيرة داخل جوّ ضبابي داكن، صمت، ليل طويل مقلق يشي بأن أمراً مريباً سيحدث عما قريب، وهناك رجل بين سن المراهقة وسن الرشد يمشي وحيداً في الليل، يعتقد أنه عميق وقاس، يعاين الوجود ويسجل انطباعاته وملاحظاته، غير أنّ الحدث الغامض يدور برمّته حوله. وروايات بول أوستر تحاكي أيضاً واقعاً قد يحدث. كأنّ الرواية هنا تطلب من الكاتب الواعي بحضور المصير وبجوهره، الانصياع لحدسه والذهاب إلى أقاصي اللغة: التنوؤ، أو ما يخال لنا أنه كذلك. إنّ بول أوستر يتماثل مع شخصية المحقق في رواية «ثلاثية نيويورك» الذي اعترف بأنّ «العالم مكوّن من أجزاء وعليّ أن أعيد تركيب هذه الأجزاء بعضها ببعض». إننا جميعنا- نعيش داخل رواية مأساوية كبيرة وما نحن سوى كائنات قصصية. أما الراوي فهو ذلك القادر على ربط اللامعقول، وعلى إيجاد خط ناظم يرسم طبيعة الأحداث المتغيرة، لكن للراوي، أي بول أوستر، قصته الخاصة أيضاً. لم تكن الكتابة عند بول أوستر الذي عشق العزلة صنوّ الحرية فحسب، بل كانت ترياقاً لضنك العيش وتمثيلاً للكارثة.

في أعماله غير الروائية الأخرى، أي في السير ذاتية أو في أدب المذكّرات، ستحتلّ الذاكرة بدلاً من الخيال، ستحضر التجارب الشخصية عوضاً عن «إعادة تركيب الأجزاء بعضها ببعض»؛ الأجزاء أي الأحداث المكسوّة بالغموض والمأساة، في عالم تفصله قشة عن الانهيار. عدا كون ضمير المتكلم الذي لطالما استعمله، حقيقياً في النمط السردي هذا، فلن يتغير الكثير. على غرار رواياته، تتجلى جماليات أدب ما بعد الحداثة. هناك لعب حر مع الزمن، الهويات ذائبة، الوعي الذاتي مقهور، والجمل متدفّقة وطويلة. المأساة- مأساته- واقعة لا محالة، والبحث الميتافيزيقي موجود. قدرة أوستر السردية استثنائية تتيح له التوغل في نظام الكلمات والأشياء، يبني حياته من جديد بواسطة اللغة، لغته التي صقلها الإخفاق والتعثر والفشل. الأسئلة الكبيرة التي تدور حول القدر والحظ و«الجرم»... طافحة في هذا النمط السردي، والتفاصيل الصغيرة كذلك. بول أوستر مثل أبطاله يخاف متاهات القدر وأفخاخاً غير مرئية تنتظره، لكنه أوفر نصيباً منهم ومدمن على الرهان.

في سيرته الذاتية «تباريح العيش... سيرة الشباب» (دار خطوط وظلال ـ ترجمة محمد الفحايم) التي صدرت أخيراً باللغة العربية بعد مرور أكثر من عقد من الزمن على صدورها بلغتها الأصلية، يبدو بول أوستر كمن يجلس على كرسي الاعتراف. الكتابة أقرب إلى اعترافات حميمية لطفل كره سيارة والديه لأنّ هناك من لا يملك ما مُنح له. يندرج «تباريح العيش... سيرة الشباب» في خانة السير الذاتية التي ابتدعها أوستر مثل «كتاب الذاكرة» الذي يشكل الجزء الثاني من رواية «اختراع العزلة» (منشورات المتوسط)، و«تقرير من الداخل» (دار الرافدين)، و«حكاية الشتاء» الصادرة حديثاً عن «دار نوفل». نقرأ قصة ذلك الشاب الذي آل كل ما فعله في العشرينيات من عمره إلى الفشل. نقرأه متذبذباً، في حالة من الصراع المزمن مع المال. نقرأه متمرداً على صورة والديه، وعلى السلطات جميعها. نقرأ بول أوستر الشاب الذي رفض ارتداء اقنعة، أو تأدية أدوار تمثيلية، أو أن يكون حمّال أوجه. رفض أن يعيش حياةً مزدوجة كباقي الكتّاب. أراد امتهان الكتابة فحسب، فراح يتسابق مع الزمن. الهدف كان جني ثروة مالية كبيرة في سنّ العشرين لكي يتفرغ لاحقاً للكتابة. يحفر بول أوستر في نفق الذاكرة، فيستنبط ذاته من جديد. يستعيد ماضيه، يسائله بصيغة الحاضر، فننزلق معه إلى الفخّ. ستبدو لنا قراراته آنذاك كحماقة بريئة لكنها أشبه بخطايا كبيرة، لكن لا رجم بالحجارة ولا حاجة إلى التكفير عن الذنوب. تعقد بول أوستر بمياه الفشل والإخفاق والتعثر من شلال ذاك الماضي، فولد كما أراد أن يكون عليه: كاتباً.

في «تباريح العيش... سيرة الشباب» التوستالجيا غائبة، هناك استعادة لوجوه وحكايات وأماكن، لكن ليس هناك حنين. ثمة عواطف باردة عندما يستعيد السارد محطات حياته، لكنه لا يلبث أنْ يستعيض عن هذه البرودة بسردٍ كثيف، تتفرع عنه خيوط وسياقات واستطرادات؛ سرد متعب كأنه الإرهاق الذي سيطر عليه أيام شبابه معاداً. في سيرته الذاتية هذه، نرى بول أوستر حياً. نكتشفه وهو يحاول جاهداً مكافحة أوقات الشدة، ومقاومة الكآبة والخيبة من المردود القليل التي تعود به الكتابة في مقابل استحواذها على روحه. تصبو الكتابة في الحالة هنا إلى أن تكون اغتراباً/ استلاباً. وهذا يعني أنّ بوسع المصير أن يحوّل ما كان ترياقاً إلى داءٍ. غير أن بول أوستر في «تباريح العيش... سيرة الشباب» بدا أنه يعيش حياته وكأنه بطل لرواية لم يكتبها بعد. كان الأدب بالنسبة إليه، يعني الغوص في العمق السحيق للغريب. لم يبدع بول أوستر أدباً فحسب، إنما أبدع في خلق نفسه كأديب، ولهي نهاية جميلة لقصة حقيقية؛ عاشها وكتبها بول أوستر.

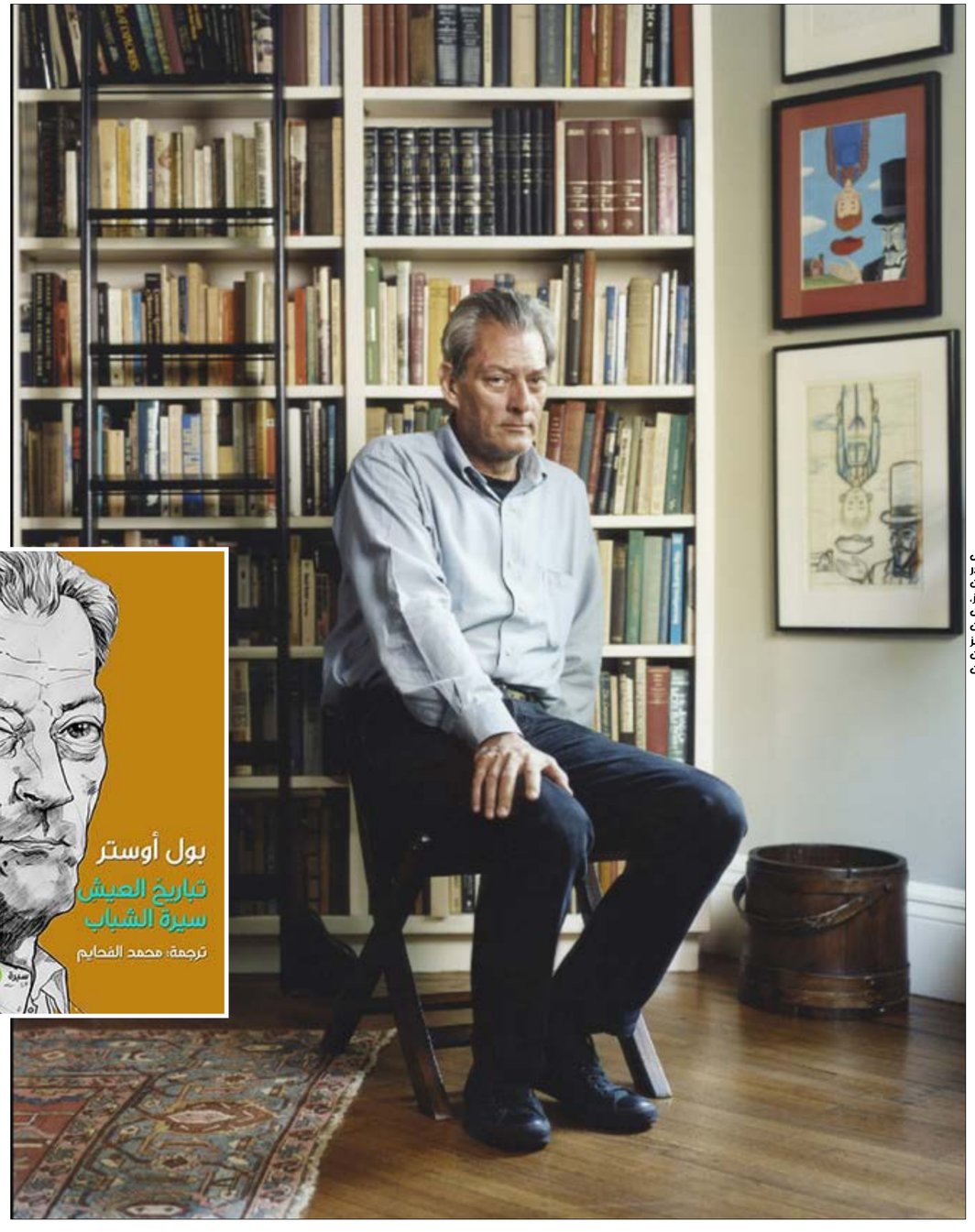

تأثر بباريس والسريالية بقدر ما تأثر بإدغار آلن بو وشارل ديكنز، ونيويورك بكل ما تحويه من أبنية ودهاليز ومشردين وملعونين

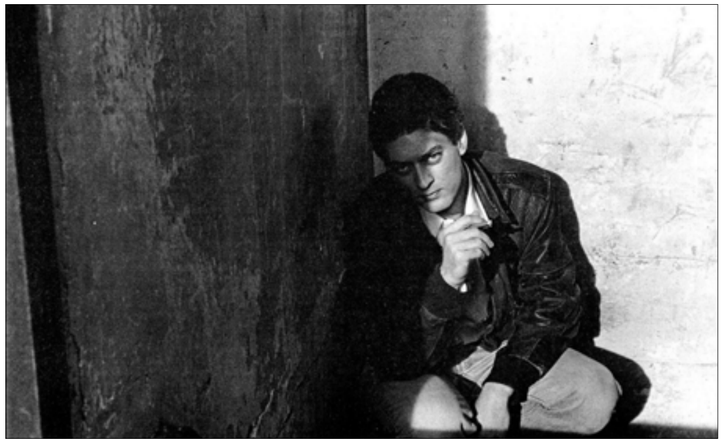

قصة قصيرة

الحيـــاة حلـــوة

علي ابو ياسين *

أستميحكم عذراً، هذا ما حدث... طال غياب بدر الذي خرج من منزله في تل الهوى باحثاً عن الخبز، وبدأ القلق يتسرب إلى قلب والديه، فهو ابنهما الوحيد. مرّت الساعات متعاقبة بزمنها الطويل القاتل بين أصوات الانفجارات وأزيز الرصاص الذي لا يتوقف.

كاد قلب أم بدر ينفطر من شدة قلقها على ابنها الذي خرج منذ ثلاث ساعات ولم يعد. أصبحت أشبه ببندول الساعة، تتحرك يَمنةً ويَسرةً، لا تنفك تفرك يديها إحداهما بالأخرى، فالدنيا حرب والغياب نذير شؤم والخروج من المنزل خطر، وهي لم تكن منذ البداية موافقة على خروجه.

صاحت في وجه زوجها: لم أعد قادرة على الانتظار أكثر، سأخرج للبحث عن ولدي، لقد هدأ إطلاق النار قليلاً. أجابها زوجها: كيف ستخرجين؟ هل جننت؟ ألم تسمعي أصوات الطلقات لا تتوقف؟ يبدو أن هناك اشتباكات عنيفة في الخارج، انتظري حتى تهدأ الأمور تماماً.

لن أنتظر... ومتى توقف القصف والطلقات والانفجارات! انتظري في المنزل، لن أغيب طويلاً.. سأبحث في محيط البيت.

خرجت بخطى سريعة تتلفّت في كل الاتجاهات، الشوارع خالية وكأن منطقة تل الهوى قد تحولت إلى مدينة أشباح، وهي التي كانت قبل أشهر قليلة تضجّ بالحياة والحركة بوصفها من أرقى وأجمل مناطق قطاع غزة.

ظلت تسير وحيدة في الشوارع تتمنى أن ترى أي شخص لتسأله عن ولدها. تهرول في الطرقات، مرة في جهة الشمال، ومرة في جهة الجنوب، فلا تسمع سوى صوت نباح الكلاب الآتي من بعيد ولسان حالها يقول: كيف اختفى الناس بهذه السرعة؟ لقد ماتت المدينة. نعم، للمدينة روح، وحينما تخرج الروح تموت المُدن. والإنسان هو روح المدينة وحال مغادرته تموت المدن.

قالت لنفسها: هل هذا وقت فلسفتك الفارغة؟ لا بد أن أذهب باتجاه أصوات الكلاب، فلا بد أنها تنبح على شيء ما، بشر ربما، أو حيوان، أي شيء أستأنس به. رغم خوفي الدائم من الكلاب، ولكن لا بد أن أذهب باتجاه الصوت علّي أجد ما يدل على حياة في المكان.

أخذت تتقدّم بخوف تُجاه المكان، تحديداً بالقرب من جامعة الأقصى، وهناك شاهدت من بعيد ثلاث جثث ملقاة على الأرض والكلاب لا تتوقف عن نهشها... اقتربت قليلاً ثم صرخت بأعلى صوتها؛ صوت قد يكون أعلى من صوت الصواريخ، غطّى كل منطقة تل الهوى، حطّم الصمت المخيم على المكان...

— آه يمه... آه يمه...

تحولت إلى كائن آخر متوحش أكثر من الكلاب المفترسة. حتى الكلاب ارتعبت وجفلت لبرهة من شدة الصوت والغضب والحزن والقهر.

ركضت من دون وعي تجاه جثة ابنها الذي كانت الكلاب تنهش لحمه، حاولت سحبه بعيداً ولكن الكلاب هاجمتها... دافعت عن نفسها ثم ابتعدت قليلاً، بحثت في أرجاء المكان عن عصا، فوجدتها وحملتها استعداداً لخوض المعركة. خلعت منديلها وقطعته نصفين وربطت أحدهما بالآخر ثم خلعت بنطالها من تحت العباءة وربطت البنطال بالمنديل وصنعت منهما حبلاً، وعادت لابنها متحدّية الكلاب مرة أخرى، وظلت تهشّ بالعصا عليها مرة ومرة تربط قدم ابنها بالمنديل، ثم أخذت تسحبه بعيداً عن توحش الكلاب. كلب واحد ظل يلاحق الفريسة، استجمعت قوتها وهجمت عليه كليوة شرسة فخاف وذهب بعيداً، ظلت تسحب الجثة حتى أبعدتها عن الكلاب، وعادت تصرخ «آه يمه»، وارتمت عليه تحتضنه، ثم جرّته إلى المنزل الذي يبعد حوالي 1000 متر...

طوال الطريق، كانت تسحب بقايا الجثة والحبل ينخر كتفها، غير مصدّقة ما يحدث... هل هذا فعلاً ابني بدر؟ تنظر إليه... تعود لتحتضنه... تنادي عليه... تتوسل إليه أن ينهض، ثم تعاود المسير. مرّ شريط حياته أمام عينيها كأنها لحظة يوم مولده وصرخته الأولى. كيف حبا على يديه أول مرة؟ خطواته الأولى وكلمة ماما... فرحتها لذهابه أول يوم إلى الروضة، وتخرّجه في الجامعة، وحبيبته التي كان يكلمها بالسر. نظرت إليه متوسلة: انهض يا بدر. أتعلم يا ولدي من أسماك بدر؟ كلا لست أنا، ولا حتى والدك، إنها المرضة حينما ولدتك وألقت نظرة إلى وجهك قالت لي لقد أنجبتِ بدراً يا سيدتي، سبحان الخالق... حتى إنها دعت كل زميلاتها ليشاهدن جمالك ووقتها قلتُ سوف نسميك بدر. لقد كنت أعتزم أن أزوّجك من حبيبتك، انهض يا ولدي، انهض. أريد أن أفرح بأولادك، ولكن إياك أن يناديني أحدهم بجدتي...

ضحكت ضحكة خفيفة ثم بدأ صوت يخترق رأسها بأغنية فريد الأطرش «الحياة حلوة بس نفهمها»، نفضت الصوت بعيداً وسألت نفسها، ما هذا الجنون الذي حلّ برأسي، أجُر ابني مستشهداً وأغني؟

صارت الدماء تسيل من كتفها من أثر إطباق الحبل المشدود لثقل الجثة، ومع ذلك لم تكن تشعر بشيء... استمرت بالمشي والشوارع لا تزال خالية وكأنها حواء في بداية الخلق وهي تجرّ ابنها هابيل الذي قتله أخوه قابيل. ولكن بدر قتلته إسرائيل. تذكّرت بدر حينما كان كل صباح ينهض مبتسماً مقبّلاً جبينها وتداعبه مبتسمة، قبّلني من خدي يا بدر، فيجيبها «هاي أحلى بوسة لأغلى أم».

عادت أغنية «الحياة حلوة» تقتحم فكرها وتزاحمها في مصيبتها، فطردتها بحزم وأخذت تنظر إليه وتصرخ: «آه يمه». اقتربت من منزلها بضع خطوات وعادت أنغام «الحياة حلوة» تسيطر على مخيلتها، صور بدر المتلاحقة وهي تضع له ساندويتشات المدرسة وتشتري له ملابس العيد، ويوم نجاحه بالثانوية العامة توزّع الحلوى على كل أهل الحي والأقارب، وعادت صورة الكلاب في رأسها تنهش قدميه وعادت الأغنية تتردّد في رأسها. صرخت بأعلى صوتها «آه يمه»...

ركض زوجها تجاه الباب، كانت جثة تجرّ جثة، شعرها مبعثر على وجهها، تغطيها الدماء، ملابسها ممزقة، عيناها ذابلتان. أفلتت الحبل من يدها من دون وعي وظلت تسير في الشارع تغني بإيقاع بطيء: «الحياة حلوة بس نفهمها نفهمها نفهمها».

* ممثل مسرحي/ غزة

ناصر الجعفري ـ «أم الشهيد» (كرتون، 2022).

الحـــجّ

محسن مخملباف *

ترجمة **ماهر جمو**

عائلة أفريقيّة مؤلّفة من أب وأمّ وصبي وفتاة، تودّع قبيلتها التي حلّ بها القحط، قاصدةً الطريق إلى مكّة.

الأب يصطحب معه طائراً بريّاً جميلاً هديّةً إلى الله، والأمّ حصيرة بيتها. الولد يحمل أزهاراً بريّة مقتلعة من الجذور، والفتاة مشط شعرها.

عندما تبدأ العائلة بتوديع القبيلة وطلب الصفح منها، يرسل كلّ فرد السلام إلى الله وهديّة إليه. أحدهم يهب مكنسةً لأجل الله، وآخر جواربه المثقوبة، وثالثٌ يهب وعاءه الخاوي. هكذا كلّ شخص يهب شيئاً ما. أشخاص كثيرون وهبوا أزهاراً بريّة، وطفل مدرسة كتب رسالةً إلى الله يقول فيها: «مرحباً يا ربّ، نحن لا نستطيع المجيء إلى بيتك، بيتك بعيدٌ جدّاً. تعال أنت إلى بيتنا».

عندما ابتعدت العائلة الأفريقية عن قبيلتها بدت تلوح متواريةً تحت حجم الهدايا التي يحملونها إلى الله.

من الجانب الآخر يودّع مخرج أفلام وثائقية - وهو ألمانيّ مسلم - زوجته وأصدقاءه في مطار فرانكفورت، ويركب الطائرة المتجهة إلى مكّة لتصوير مراسم الحجّ.

وفيما هو يؤدي مناسك الحج، يقوم بتسجيل هذه المراسم وتصويرها أيضاً. أحياناً يلفت نظره مشهدٌ ما، ولكن بسبب مشكلات معيّنة لا يستطيع تسجيل ذلك المشهد، وأحياناً أخرى ينجح في ذلك.

يستأجر المخرج أحد الأشخاص كحمّال، ليحضر له معدّاته وأغراضه، ولكن نظراً إلى أنّ إعطاء الأوامر للآخرين أمرٌ محرّم في الحجّ، فإنّه يجد نفسه في مواجهة مشكلات أخرى جديدة.

قطعت العائلة الأفريقية مسافةً طويلة، ذبلت أزهارها وبات الطائر على وشك الموت.

بعد مضيّ وقت طويل من العطش الشديد على مسيرها عبر الصحراء المتشقّقة من الجفاف، تعثر العائلة على بقعة صغيرة من الماء، بمقدار راحة يد، كانت متبقية من ماء المطر.

أوّل ما فعلوه هو إرواء طائر الله، ومن ثمّ وضعوا جذور الأزهار في الماء ثمّ بعدها غمسوا أصابعهم فيها وتوضّؤوا لأجل الصلاة، ثمّ مسحوا السنتهم بالماء لكسر العطش.

تُعرض المشاهد المتعلّقة بمسير العائلة الأفريقية بشكل قصير ومتوازٍ مع مراسم الحجّ؛ المراسم التي تُعبّر عن رؤية المخرج الوثائقيّ.

شيئاً فشيئاً تتخلّف العائلة الأفريقية عن أداء فريضة الحجّ، وعندما تقترب مناسك الحجّ من نهايتها، تكون العائلة الأفريقية في حال نزاع مع الموت بفعل العطش والجوع. جفّت أزهارها والطائر - مع أنّه حرّ - عاجزٌ عن الطيران.

مُخرجنا الوثائقيّ الذي تابعنا معه مراسم الحجّ، والذي تعتريه أحياناً نشوةٌ عارمة لما قام به من تصوير مديد لطقوس الحجّ ومناسكه، عازمٌ الآن على تصوير أحد المشاهد النهائية لمراسم الحجّ. الناس يطوفون حول الكعبة، وهو يتهيّأ لإعداد كاميرته ومن ثمّ يضع عينه خلف العدسة، لكن فجأةً يرى أنّ الكعبة ليست في مكانها.

في الجانب الآخر، يبدو أن الكعبة جاءت إلى الصحراء، وراحت تطوف حول العائلة الأفريقية؛ فبدأت الأزهار الذابلة تتفتّح من جديد، وحلّق الطائر، وأخذت الحروف تمحي من رسالة ذلك الولد...

* مخرج، مؤلّف، منتج ومخرج أفلام إيراني. ولد عام 1957 في إحدى ضواحي جنوب طهران، ويُعد من أبرز أسماء الموجة الجديدة للحركة السينمائية الإيرانية. أصدر مخملباف 27 كتاباً أدبياً وقصصياً وأخرج 20 فيلماً طويلاً وأربعة أفلام وثائقية وخمسة أفلام قصيرة في عشرة بلدان، وفاز بنحو 50 جائزة، وكان عضو لجنة تحكيم ومشاركاً في أكثر من 15 مهرجاناً سينمائياً، وهو مقيم حالياً في باريس.

غيوت ـ بورتريه عائلة افريقية (اكريليك على قماش، 2009)

شذرات

ديوان شعر بصفحات فارغة

فخري رطروط *

صوت أزيز روح ثملة تحاول الدخول في الجسد الخطأ.

■■■

على ظهري حقيبة، فيها جثتي وأدوات تحنيط.

■■■

ألملم جثث الأمواج الميتة عن الشواطئ.

■■■

أقلقني وجود طحالب على حواف السماء.

■■■

نَزِق ومتوتر مثل قولون عصبي.

■■■

عقلك محطم، لا فائدة من انتظار الربيع.

■■■

دماغي مقبرة فرعونية.

■■■

في حالبي الأيسر جبل.

■■■

لا أستطيع الفرار، الله قَيّدني.

■■■

الله لا يعبث، هذا مصدر القلق.

■■■

الجنة أن تجد ذراعاً تغفو عليها آخر الليل.

■■■

المرأة هاوية، الرجل جسر.

■■■

أين تحب أن يرفسك حمار الميتافيزيقيا؟

■■■

بعض اللوحات، أجمل ما فيها توقيع الرسام.

■■■

لي طمأنينة مفصل باب من أبواب الجنة.

■■■

التواجد في قطعان يقلل نسبة افتراسك.

■■■

نحن جذور لا نعرف أين تغوص.

■■■

الغجر أنقى عرق بشري.

■■■

عليك أن تخترع بلداً وتجهز حقائبك.

■■■

رائحة عطرها تذكّرني بقارة ضائعة.

■■■

ساعد هذه الساعة العمياء.

■■■

المرأة هاوية، الرجل جسر.

■■■

فلنترك الألوان الشاحبة تروي قصتها.

■■■

الشمس تفرك له أذنه كل صباح لينهض.

■■■

مخترع المطرقة عاشق فاشل.

■■■

عوالمه مشوّهة، حتى الثعبان له أقدام.

■■■

ماذا تفعل إن وجدتَ عدوك يشبهك؟

فرنسيس بيكن ـ «دمّ على البلاط» (زيت على قماش، 1986)

■■■

أسوارك على مقاس منجنيق الكون.

■■■

جميع أمواتي يريدون رواية قصتهم.

■■■

كلما نظر إلى نفسه رأى قبراً بلا شاهد.

■■■

سيارات إسعاف كثيرة ترافق العالم المسرع.

■■■

الضمير اليقظ دودة ستفسد جميع ثمارك.

■■■

في حرب الميكروفونات، أنا المستمع الوحيد.

■■■

الجلوس على حطام حياتك عرشك الوحيد.

■■■

حسب مزاج الجذور تأتي الثمار.

■■■

مخازن الربيع مليئة ببذور فاسدة.

■■■

إن لم تَفتَحْ مظلتك لن يسقط المطر.

■■■

الجناحان عبء على الدجاجة.

■■■

الزمان متدثّر بفروة ثعلب.

■■■

أحبك كحريق في غابة.

■■■

الشجرة بذرة آمنت بنفسها.

■■■

متى ستنجح الورود بإطالة عمرها؟

■■■

ما الكلام الذي نقوله حين نصمت؟ سأنشر ديوان شعر بصفحات فارغة.

■■■

بعض الكتب أعيد قراءتها بعد سنوات طويلة. يقولون إن ذلك يشبه زيارة صديق قديم.

■■■

ذهبت قبل عشرين سنة إلى بيت الشعر في رام الله، معي مسوّدة ديوان، وجدت الرئيس يغرق في أحد بحور الخليل بن أحمد، لم يسمعني، صنعت من المسوّدة زوارق ورقية مسلحة، ملأتها بجنود النثر ثم دفعتها إلى الماء.

■■■

الشعر: أكل أشعة الضوء بشوكة وسكين.

■■■

تشرع في الكتابة وأنت تعرف بأنك مقتول كمن يحمل رسالة غبية إلى ملك دموي، ستنتهي بمقتله.

■■■

المخيلة كمّاشة، الكون مسمار.

■■■

لا تثق بشاعر أنيق.

* ماناغوا/فلسطين

قصيدة

تَجْلسينَ في أمان الله ومَكْر الحدائِق

أدريانو خمدّ *

في البيتِ
القُطْنُ يَأكُلُ مِن ظَهيرَتِكِ
الفَاتِنَة
والكَلِماتُ تَشرب الرِيقين
المُضفّى
وتَنَام على الدَّرجَمة
يَشرب النّهار جَسدكِ وردةً
وردة
ويَغبق المكان
تَجْلسينَ في أمان الله
ومَكْر الحدائِق
لا تَلْتَفتِينَ للحرائِقِ المُلْقاةِ في
سلّةِ القلب
أعضاؤكِ كُلّها تَضعُ ساقاً
على ساقٍ
الطبيعة بنتُ خلّخالك
تَسيرُ في نومِها دونَ أنْ
تُوقظ الأغاني
دونَ أن تُحرّكَ شعرةً في
الأسى
دونَ أن يمُرّ الوقتُ كسولاً
وينفق أشجاراً في ضحكتكِ
الخضراء
ضحكتك التي تَرى
التي تصنعُ خُدوشاً في
الهواء
تصرع ذرات في عبورها
تُروّضينَ وحوشاً بنظرتكِ
اللاهِبة
وحوش تَقْعي تحتَ قدميك
وقلوبٍ تَعْوي كُلّما حرّكَ
الريحُ فُستانكِ المُنْزلي
تَجْلسينَ بقلبٍ مُغْلَق
وثَمانينَ بَاغيْنِ مفْتُوحَةٍ على
مصراعيها
تَجْلسينَ في البيتِ يا فتنةَ
الأجسادِ
تشْرَبينَ القاً تِلْوَ القْ
لا تشبهين الكائناتِ إلّا في
حنانها العالي
وحينَ تَلْمسينَ جماداً صُدفةً
يُحال إلى جمالٍ عاشِقٍ
يصرُخُ.
تبذلينَ بحاراً في الخطو
حينَ تُعبّرينَ بالمكانِ تُشْعلينهُ
بالعذوبة
كل ما فيكِ يُعانِقُ بعضهُ
اللهفة بثّتْ زنديكِ
كلما فاجَ وجهكِ في الزمانِ
ذابَ المكانُ
تأخُذينَ البحر كلّه بِسُمرتِكِ
الفاتِنة
عندما تقولينَ تعالَ يا حبيبي
تاتيكِ الأشجارُ حتى
الفلوات الواسعةُ والوديان
أيضاً تاتيكِ
بحنان الجَدّاتِ تمسحينَ على
أرواحنا المتعبة
أرواحنا التي تَتَيبّس بالشوق
وتَلين حين تَنامُ على صدركِ
المفعم بالأمومة.

* السودان

سيف الديب لعوتة «بدون عنوان» (زيت على خشب، 2002)

تاريخ

بلقاسم بن عبد النبي: المسكوت عنه في التاريخ العربي الإسلامي

نورالدين بالطيب

كتاب جديد صدر في تونس، يكشف جوانب من المسكوت عنه في التاريخ الإسلامي. تحت عنوان «البغاء والبغايا في المغرب الإسلامي الوسيط ق 5-10 هجري/ 11-16 ميلادي» (دار المسيرة/ تونس ـ 2024)، ينفض بلقاسم بن عبد النبي الغبار عن ظاهرة البغاء أو ما يُسمّى بـ«الدعارة» في المجتمع المغربي الإسلامي (شمال أفريقيا) في الفترة التي درج المؤرّخون على تسميتها بالتاريخ الوسيط، إذ بحث الباحث المغربي في هذه الظاهرة من جوانبها الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية، وتطرّق إلى «ظاهرة اجتمع الدين والعرف على تحريمها وهي جرم في الحق النفسي والعائلي والقبلي، إذ حصلت خارج إطار الزواج وتمسّ من العفّة والشّرف والنّخوة، ورمز للمهانة والعار».

ويشرح الباحث في مقدّمة كتابه الدوافع التي شجّعته على دراسة هذه الظاهرة، فيقول: «كان الاختيار لدراسة البغاء في المغرب الإسلامي الوسيط نابعاً أساساً من محاولة الغوص داخل المجتمع وفهمه من الأسفل ومحاولة الإلمام بهذه الظاهرة». واعتبر أنّ هذه المرحلة من تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط ربطت المرأة بـ «الشيطان» وشابهت بين أفعالهما، ومن هذه الصورة الشيطانية تعالت الأصوات لعزل المرأة لأنّها «فتنة» ولا بد من العباءة والحجاب حتى «يتّقي المجتمع شرورها». كما استندت هذه النظرة إلى «الحديث النبوي الصحيح: ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للُبّ الرجل الحازم من إحداكن». ولكن الباحث يعتبر أن هذا الاستناد خاطئ، فـ «الحقيقة في هذا الحديث حسب أهل العلم أنّ المرأة تغلّب العاطفة في الحكم في معظم أمور حياتها بدلاً من عقلها».

ويعتقد الباحث أنّ السردية الذكورية هي التي ألبست المرأة هذه الصورة من «النّقص» ووضعها في صورة شيطانية. وتناول الباحث أيضاً مقاومة المجتمع لهذه الظاهرة التي شارك فيها الفقهاء والأولياء الصالحون بمجموعة من العقوبات الزجرية التي صاغها «العقل في المغرب الوسيط» حسب تعبير ابن عبد النبي. وتوقّف عند دور الأولياء في مقاومة الظاهرة، فقد لعبوا دوراً فعّالاً في الحياة اليومية في المغرب الإسلامي، اعتماداً على «كراماتهم وسلطتهم الرمزية والدّهنية وتنوع الكرامات». وقدّم في ذلك أمثلة مثلما أوصى به الولي الصالح الماجري مريديه في قوله: «إيّاكم ومجالسة العجائز، فإنّهن شيطانية. وتناول الباحث أيضاً مقاومة المجتمع لهذه الظاهرة واعتبارها من المآسد. واعتمدوا الكفالة الاجتماعية لتجنيب المرأة الإحساس بالحاجة واعتبروها ضحية، وليست مدانة، وحثّوا على مساعدة الفتيات وتشجيعهن على الزواج «لتحصينهن من الوقوع في الفاحشة». لكن هذا الدور الإيجابي الذي قام به بعض المتصوّفة لم يمنع من وجود آخرين في التاريخ المغربي الوسيط خلقوا البدع ومسّوا جوهر العقيدة الإسلامية وفق الباحث.

إلى جانب مقاومة المجتمع للظاهرة من خلال منظومة العرف الاجتماعي والأولياء الصالحين، «وفّرت السلطة السياسية كل إمكاناتها لردع خطر الدعارة على المجتمع المغربي الوسيط فاعتمدت القوة في بداية تكوّنها وسخّرت أجهزتها الأمنية والرقابية والردعية لضرب البغاء وكل من يمثله». ويؤكد بلقاسم بن عبد النبي أنّ دراسة هذه الظاهرة كانت محفوفة بالمخاطر نتيجة «الدخول في المحظورات وغياب النصوص الواضحة التي توثّق لها». واعتبر أنّ المرجعية الإسلامية والذهنية المحافظة والأعراف التي حاصرت المرأة، لم تقدر على منع البغاء الذي كانت له أشكال شتى علنية وسرية، إذ «تنوّعت دور الدعارة في المغرب الإسلامي الوسيط بين الدور العمومية المتمثّلة في الفنادق والمواخير وتحت إشراف السلطة التي تجبي منها المداخيل، والدور الخاصة ياتيها الزبائن خلسة أو استراحات تقدّم شتى أنواع الخدمات وتوفر أساليب الراحة والمتعة للمسافرين والتجّار». كما تطلّبت هذه «المهنة» منظومة من الوسطاء رجالاً ونساءً.

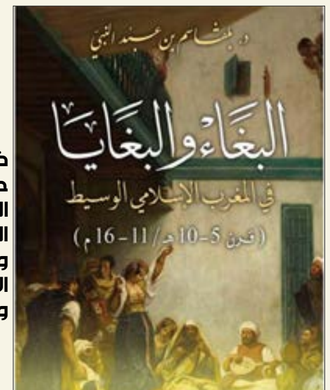

ظل البغاء حاضراً رغم القوانين الزجرية والعرف الاجتماعي والشريعة

اخترق هذا الكتاب المسكوت عنه ليتناول ظاهرة «غَيْبتها الذاكرة من الروايات واعتبرتها من المحرّمات والقتها على الهامش»، فالبغاء لم يغب عن التاريخ العربي الإسلامي رغم القوانين الزجرية والعرف الاجتماعي والشريعة الإسلامية. واختتم الباحث كتابه بملحق لوحات تجسّد حضور المرأة في الفضاء العام وفي مجلس أنس، وصور متخيّلة عن الخيانة الزوجية، وهذه المجموعة الكبيرة من الصور هي ترجمة لتصوّر حضور المرأة في المجتمع المغربي الوسيط.

الفصل الثاني لدواعي البغاء التي راوحت بين الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، فيما حمل الفصل الثالث عنوان «البغاء والبغايا» وبحث في دور البغاء ودوره، متوقّفاً عند كتاب «نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب» لأحمد التيفاشي الذي وضع فيه «مسحاً شاملاً للظواهر الجنسية المتخفّية والظاهرة في المجتمع الإسلامي». أمّا الفصل الرابع من الكتاب، فكان بعنوان «مواجهة البغاء» وتفحّص دور السلطة الحاكمة في مراقبة الظاهرة وموقف الشريعة والعرف الاجتماعي ودور الأولياء الصالحين (المتصوّفة) الذين عمل بعضهم على الحد من هذه الظاهرة كما سعى آخرون إلى تبريرها.

ويرى بلقاسم بن عبد النبي أنّ هذه الظاهرة مرتبطة أيضاً بنظرة المجتمع في المغرب الوسيط إلى المرأة عموماً. نظرة تكتنف «تناقضاً فكرياً وجدانياً» لأنها «من جهة تتعرّض للتبخيس بربطها بالجسد والجنس والتقليل من إدراكها الفكري والإنتاجي، ومن جهة أخرى تحظى بالأهمية القصوى حين ترتبط بالأمومة والصفات الحميدة مثل الطيبة والحنان والتضحية والمحبّة».

واعتبر الباحث أنّ الذهنية المغربية في العصر الوسيط ربطت المرأة بـ «الشيطان» وشابهت بين أفعالهما، ومن هذه الصورة الشيطانية تعالت الأصوات لعزل المرأة لأنّها «فتنة» ولا بد من العباءة والحجاب حتى «يتّقي المجتمع شرورها». كما استندت هذه النظرة إلى «الحديث النبوي الصحيح: ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للُبّ الرجل الحازم من إحداكن». ولكن الباحث يعتبر أن هذا الاستناد خاطئ، فـ «الحقيقة في هذا الحديث حسب أهل العلم أنّ المرأة تغلّب العاطفة في الحكم في معظم أمور حياتها بدلاً من عقلها».

نوفيلا

عزّة طويل: ليس الموت داكناً إلى هذا الحدّ

محمد ناصر الدين

تبدو الكتابة مع عزّة طويل في كتابها الجديد «لا شيء أسود بالكامل» (دار هاشيت أنطوان) كشكل من أشكال التأليف الموسيقي للكلمات، إذ إن الكتاب المدموغ على غلافه بكلمة «نوفيلا» وبسرديته المتقنة المكثفة على شكل فقرات ومقاطع متعددة (22 فصلاً) يعطينا الإحساس بهارمونيا لذيذة منذ السطر الأول الذي يبدأ بجملة عن الصوت: «يتسمع طنيناً ما، طنيناً قويّاً، لكأنه ضرب طبل ضخم يتردّد في كل زاوية من رأسك. إنها البداية، ويستكون عنيفة شيئاً ما»، وحتى الفقرة الأخيرة منه التي تنتهي موسيقيّاً هي الأخرى: «كأن هذا مقطعاً من سوناتا لم يكملها الموسيقيّ بعد. يُقال إنه خاف لعنة السيمفونية التاسعة تحديداً ويدّعي آخرون أنّ النهايات تحمل موتاً بالضرورة»: بما أنّ الفقرة هي وحدة التأليف في العمل الروائي، كما أن البيت الشعري هو وحدة التأليف في القصيدة، يمكننا القول بلا تردد إن الكاتبة التي تتابع فصولاً من سيرة بطلتها التي تختبر الأمومة والخسارة والحب، قد عملت بإتقان على فقرات الكتاب التي تبدو قائمة بذاتها حتى تغدو ناضجة وتمتلك إيقاعاتها الموسيقية المتوازنة، وتوازنها المثالي، ولحظات تشويق غير متوقعة بشكل متقن، لتعود طويل وتربطها بالموازييك الكلي لحياة البطلة وأسرتها، ما يُخرج هذه الفقرات من دائرة القصص القصيرة التي لا يربطها رابط. إقحام «لا شيء أسود بالكامل» ضمن خانة النوفيلا قد يمثل إرباكاً للناقد لقلة المقالات العربية الجدية التي تتناول هذا الفن في غمار الاستخدام المرتبك للمصطلح وصعوبة تاريخ مراحل تطور هذا الصنف وما يفرقه عن الرواية أو القصة. إلا أن ذلك التصنيف لا يمثل إرباكاً للقارئ الذي تضعه طويل أمام باجيالها الثلاثة يرويه صوت واحد يهيمن على السرد وهو صوت البطلة، وتطعّم هذه البانوراما بتأملات حول ثيمات مهمة أولها الموت الذي يبدو الهاجس الأساسي للرواية التي تبين سطوته في الفصل الافتتاحي في مشهد الجنين السقط وما يولده من جدلية تناقض تتمثل بالتمسك بالحياة في مواجهته: «سأجلس على العشب. سأتربع وابدأ بإزاحة التراب بيديّ. لن أحفر في التراب عميقاً. لا أريد لها أن تكون وحيدة في حفرة عميقة. سأضعها هناك، ملفوفة بقماشة، وسأعيد التراب إلى مكانه. كان شيئاً لم يكن. سأغرس من ثمّ نبتة صغيرة، قد تكون نبتة لأفندر، أو حبقة صغيرة خضراء»، أو مواضيع شائكة أخرى مثل الأنوثة والأمومة والضغط الهائل الذي ترزح تحته المرأة في علاقة زواج غير سوية والتبعات النفسية لذلك على صحتها النفسية والجسدية وصحة أطفالها وتبعات ذلك عليهم بعد أجيال متعاقبة.

كما لا يغيب الحب بين البطلة وشريكها كوصفة ناجعة ضد الموت والقباحة وموازين القوى الجندرية، إذ تبدو الأجواء بينهما في زياراتها المتكررة إلى الفيلا المهجورة في سوق الغرب، والأجواء الرومانسية التي تصاحب لقاءاتهما حيث يبدو الاتصال الجسدي أقرب إلى انسجام روحي منه إلى علاقة جسدية صرفة: «مررت لساني على يديه ليدفئهما، ثم على شفتيه، فرقبته، فأذنيه، أردته حارّاً، أردت أن تتبادل حرارة جسمينا، فيصبح الإحساس بالوحدة أقل صقيعاً. أنزلني إلى بطنه وقال: قبّلني أكثر. صرت أقبله وأضع أنفي

تحضر مجازر صبرا وشاتيلا والكرنتينا ومآسي حمص

البارد على بطنه. كانت فرصة أخرى لتدفّق حراري بين ذرّات جسمينا. رحت أدغدغه بأنفي وأقبّل بطنه كله، وصدره، وقلبه، وصرّته، وكل ما تحتها. لم يكن عضوه منتصباً، ولم يعنِني الأمر».

تستفيد طويل من مرونة فن النوفيلا الأشبه بالة الأكورديون في القدرة على توسيع السرد إلى تخوم الرواية أو تضييقه حتى حدود القصة، فتهرب من «الوصفة التقليدية» في وضع الشخصيات والأحداث في أماكنها الاجتماعية والسيكولوجية وغيرهما من حيث علاقاتها بالمجتمع وبغيرها من الشخصيات، ليعبر القارئ خفيفاً بين فانتازيات مطعمة بالتجربة وتأملات وذاكرات مختلفة، «تؤكد أن العمر رحلة، والحياة ممرّ، والوجود أكبر من شرطه». كما تسمح تلك المرونة بتوزيع السرد على أمكنة متعددة بين بيروت التي تستحضر فيها طويل أيضاً جدلية الحياة والموت، من مجازر صبرا وشاتيلا التي تتزامن إحدى الشخصيات بحرام أزرق عتيق كدليل على نجاتها عند اختراق القذيفة ومرورها من فوق رأسها مباشرة، إذ «يوم تتخلى عن الحرام الأزرق، ستكون قد تخلّت عن كل رغبة لها في الحياة».

كما تحضر حمص بمآسي الحرب السورية التي تغيّر مصائر بعض شخصيات الرواية، وباريس بإشكالياتها الاجتماعية والثقافية في التعامل مع المهاجرين والغرباء ولا سيما العرب التي أكثر ما تتبدّى في تصرفات رجال الأمن في المطارات. كما أنّ الزمن في «لا شيء أسود بالكامل» لا يسير على نهج مطرد، إذ لا بد للماضي من أن يسبق الحاضر، والحاضر لا بد من أن يأتي قبل المستقبل بحيث يمثل الإخلال بهذا الزمان الهندسي الأشبه بانطلاقة السهم من كبد القوس إلى هدفه إرباكاً للراوي. إرباك يصفه الكاتب المصري الكبير ادوار الخراط بدقة كبيرة: «حتى إذا ما استخدم الكاتب ما يسمّى باللقطة الإرجاعية أو اللقطة الخلفية، فهو يحرص أن يمسك بيدك ويقول انتبه، سوف أعود الآن من الماضي ثم ينتهي من ذلك فيستأنف سرده التقليدي».

تبدو نوفيلا عزة طويل خارج هذا الإطار التقليدي تماماً إذ تتوافر فيها كل تقنيات «الحساسية الجديدة» بمصطلح الخراط نفسه من كسر الترتيب السردي الذي يتصاعد ويتفاقم ويطّرد ثم تنحل عقدته التقليدية في نهاية المطاف، وكذلك عدم الوقوف عند ظواهر الأشياء بل الغوص إلى دواخلها، فنرى الأب الواقف فوق قبر ابنته يتأمل في تسجيلاتها الصوتية يتخطى دائرة الألم والفقدان الأولى الخاصة بالموت ليصير هذا الأخير مادة للتأمل: «صوتها لم يعد يكبر، كيف السبيل لأسمع صوتها، زائداً عدداً من الأيام؟ أدرك فجأة أنّ الصوت يكبر أيضاً، وتترك الأيام أثرها فيه، أصبح يستشعر كل ضعف يطرأ على العضلات يوماً بعد يوم، كيف تصبح حركتها أبطأ، وتترسب الدهون حولها وتنخطّ الأنسجة. أصبح مهندس حناجر، يميّز عمرها من دون أن يخطئ تقديره مقدار يوم واحد حتى».

كما أن أهميتها تكمن في عدم التزامها بشكل سابق محدد يُفرض عليها قالباً نمطياً، إذ إن الكاتب ينظر عادةً إلى القوانين بعد كتابة العمل وليس قبله، وهو ما يفسر عدم وقوف الكاتبة اللبنانية والمقيمة في كندا طويلاً أمام دمج كتابها الأول من الناشر بصفة النوفيلا. إذ إن روح العمل وميكانيزمات تطوره الداخلي والمواصفات المثيرة لخلق الدلالة التي يشارك فيها القارئ تجعل «لا شيء أسود بالكامل» فسحة ملونة فيها الكثير من المساحات الاقتحامية أو الإليفة، حيث يغدو الموت نفسه إليفاً وشاعرياً أحياناً: «هذاك الحين ما عدت أزور المقابر أبداً، صرت كلما علمت بموت أحدهم، أبحث عن الصور التي أحضرتها أختي، وأتأمل في رومانسية المشهد. ليس الموت داكناً إلى هذا الحدّ، وإلا لمْ بعثت المقابر، مقرونة بالمطر، كل هذه الرومانسية. أصبحت صوري تلك، ملاذي الذي أجابه به ثقل الموت، فانعم فيها النظر، وأسمع عبرها صوت ارتطام حبات المطر بالتراب، واتصور أن الموتى لا يعطشون».

رواية

محمد البندر: ابن المقفع معاصرنا

كميل حمادة

في روايته «رئيس الصدفة» (دار البيان العربي ـ بيروت)، يلعب محمد البندر لعبة خطيرة وممتعة في آن. يأخذ في مسار الترفيه والتوجيه معاً. يستحضر ابن المقفع بأمثاله الخرافية في «كليلة ودمنة» وما ترمي إليه من عبر ومغازٍ، ويأخذ إلى زكريا تامر و«نمروه في اليوم العاشر». يكتب البندر بلغة الإعلامي الذي خبر السياسة والإعلام ودهاليز السياسيين والقضاة وأساليب الحكم واستحمار الجماهير، ويرى بعين الشاعر الذي يرى ما لا يراه سواه، فيستشرف مستقبل كلّ وطن أو شعب يترك لأرائله أن يتحكّموا بمصيره وهو واقف تحت حر الشمس يصفّق لهم ويهتف بملء حناجر غبائه: «بالروح بالدم نفديك يا...».

ولعل استخدام محمد البندر لتقنية المثل الخرافي بنسخه المعاصرة، ليس فقط لأسباب نفسها التي دفعت ابن المقفع في عصره إلى توسّل هذا النوع الأدبي خوفاً من بطش السلطة وسطوتها على كل ذي رأي، بل يشير الكاتب إلى أنّ الزمن العربي الحاضر ما زال هو الزمن العربي الماضي، زمن محمد البندر هو نفسه زمن ابن المقفع على مستوى القمع السياسي والفكري وهيمنة القوى المتسلطة على أصحاب الرأي. الزمن واحد ممتد، كأنما التاريخ العربي منذ ابن المقفع وحتى اليوم يدور في نسق واحد من التخلّف والتردي، كأنّ «السياسي» في العالم العربي ما زال ينظر إلى «الثقافي» نظرة التوجس والترصد لاعتقاله وزجّه في غياهب السجون أو إبداعه في «ثرى الوطن»، في الوقت الذي ينبغي فيه أن يحكم الثقافيُّ السياسيَّ، أي أن تكون السياسات العربية من تفصيل ونسج إبرة المثقف المفكّر وخياطته ووفق مقصّه - قلمه. وأن يكون الزمن الآن شبيهاً لذاك الزمان فهذا يعني أننا أمة تعيش في ماضيها ومتخلفة تماماً وتاريخها، وتقبع في مستنقع لم تخرج منه منذ ما يربو على الألف عام. يحكي محمد البندر حكاية عالمنا العربي، حكاية لبنان وكل وطن من أوطاننا، حكاية الفساد الذي يعشّش في كل شيء: في النفوس والناس ودوائر الدولة والحكومات والمجالس والرئاسات، في القضاء ورجال الدين، في الأمن والشرطة والعسكر الذين ـ بدل أن يحموا الأرض والناس ـ يزعّرون جيوبهم للسماسرة والمهربين وتجار الدم. يظهر قبحنا الكامل، يعرّي هشاشة دولنا وانظمة حكمنا، ويضع إصبعه في عين الشعوب القابلة بكل هذا، فيجعلها شريكة في نحر نفسها على يد من تترك لهم فرصة أن يمتطوها رؤساء وزعماء ولم كانوا شغل الصدفة واستبلاد السفارات والدول الكبرى كأنّه يقول لنا إنّ شعوباً تحكمها الحمير هي أشد غباءً منها.

كل ما في رواية محمد البندر سيميائي ودلالي: اختيار الإطار الحكائي على السنة الحيوانات التي تظلّ، رغم كل ما فيها من غريزة وتوحش، أقل فظاعة من البشر الذين تجاوزوا كل شيء. المكان دلالي بامتياز، فالغابة ليست غابة بل ترميز للوطن المنهوب المحكوم بالأرائل. وحديقة الحيوانات هي حديقة البشر، إذ تنقلب المعايير، فيصبح البشر وسيلة تتفرج عليها الحيوانات وتشمئز من سوء فعالها.

والزمان دلالي رمزي ما بين الثاني عشر من آب (أغسطس) 2012 والثامن من آب (أغسطس) 2020. كانتا أمام المرحلة الزمنية ما بين الأزمة السورية وبين انفجار بيروت، بكل ما فيها من خضّات سياسية وسقوط أنظمة وسفك دم وحروب طاحنة وفوضى عارمة وصراع على السلطة وانهيار للمنظومات الأخلاقية والسياسية، وإعادة ترسيم الخرائط تحت عين العم سام وفوهة مسدسه.

تجري الأحداث ما بين الأزمة السورية وانفجار مرفأ بيروت

وفي الوشم في الرواية مجرد ترميز إلى الحكّام والساسة وصراعهم على الكراسي ولو أدى ذلك إلى تلف الحجر والبشر، وترميز للقضاء بكل ما يعتريه من فساد ورشى، وترميز للقمع والديكتاتورية التي تتجلّيان بزي الديموقراطية. وترميز للسلطة الأمنية التي تعتقل وتملأ السجون بأصحاب الرأي، فهذا الوطن الممتد من النهر إلى النهر سجون متضايقة سجّانُ يمسك سجّاناً، وإن تزين بزينة الديموقراطية فهي ديموقراطية زائفة متوهّمة تمثّل صورة لطيفة عن الديكتاتورية المقنعة، كما هو الحال في لبنان حيث الانتخابات والبرلمانات والمجالس والمؤسسات كلها مجرد ديكورات لإيصال الأسوأ إلى كرسي السلطة، إيصال من لا همّ له سوى إشباع شهّته للمال والسلطة وغيرها من الغرائزيات الخطرة.

ولا يغفل محمد البندر بوصفه إعلامياً عن التطرق إلى قضايا الإعلام ودوره في العالم العربي، ومنه لبنان، فبدل أن يكون ناقلاً للحقيقة وصانعاً للرأي العام لمواجهة الفساد والتسلط، وسلطة رابعة تراقب وتحاسب ويحسب لها الحاكم والسياسي وكل عامل في الشأن العام ألف حساب، تتحول في بلادنا إلى بوق دعائي لنشر الفساد والخراب والطائفية والفئوية والعصبية والتطبيل للحاكم والزعيم المقدس، فيرمز الكاتب في روايته إلى الإعلام الذي يدس الدسائس ويصنع الفتن.

هكذا تنقلب الثنائيات عن أصولها المنطقية والجمالية، وتصبح أوطاننا غابة بلا شريعة ولا قانون، يتسنّم أسوأ من فيها سدة الحكم والرئاسة فيها، ويهلّل الشعب فيها لكل من يستثير الغرائز والعصبيات والمصالح الخاصة، كأنّه يصور أوطاننا العربية كلها، بكل ما يعتريها من فساد وخراب وظلم وطحن للمواطن بين سندان العدو الخارجي ومطرقة الحاكم الفاسد.

كل ذلك لا يمنع من أن تعلو ضحكاتك من سخرية مريرة تطالعك في الرواية من التسميات الآتية من عالم الحيوان ومدى انطباقها على الصفات والشخوص، حتى يكاد اسم الشخصية يبدو منحوتاً نحتاً من الصفة التي يعبّر عنها أو يشير إليها في العالم الواقعي للإنسان.

لا نبالغ إذا قلنا عن رواية محمد البندر إنها رواية الواقع المرير لأوطان منكوبة بكل تفاصيلها، بلغة إعلامية تقدّم الحدث عبر تسلسله التاريخي السياسي والاجتماعي، وبرؤيا ثقافية تقول ما كان على اعتبار إنه مقدمة ما يكون وما سيكون، بلغة ساخرة تستلهم التراث العربي الكتابي عبر «كليلة ودمنة» لتقدّم عبره واقع أوطان سلّمها أبناؤها إلى أسوأ من فيها من لصوص وقوادين وعملاء، فدفعوا مستقبلهم ومستقبل أبنائهم ثمناً لذلك. ونستعير هنا خاتمة الرواية: «مات الجميع، واحترق الأخضر واليابس، ووسط هذا البحر من اللهب والموت لم تُكتب الحياة إلا لناجٍ وحيد كان يحلّق في الأجواء البعيدة، إنه النسر «إيغل» الذي كان شاهداً على تلك المجزرة المروّعة فقال في حسرةٍ وغضب: هذا مصير الأمم التي ترضى باستحمارها»

لمحات

جويس منصور

يجمع كتاب «قصص مؤذية» (منشورات المتوسط) جميع الأعمال النثرية للكاتبة والشاعرة المصرية الفرنسية الشهيرة جويس منصور (1928-1986)، التي كانت قد انخرطت في الحركة السريالية في باريس، وأصبحت من أبرز شاعراتها. يتضمن الكتاب خمسة أعمال هي: «الراقدون الراضون»، «يوليوس قيصر»، «زرقة الصناديق» (مسرحية)، «الذي/التي»، و«قصص مؤذية». يشتمل الكتاب على دراسة مُطوّلة وضعها المترجم محسن البلاسي عن الشاعرة ومُقدّمة كتبها الشاعر الفرنسي بيار باتيو. يمتاز الكتاب بعوالمه الغريبة والمفزعة التي تصدم القارئ في كل جملة تقريباً، حيث يتناول مواضيع مثل القتل والتشنيع والإثارة، وأيضاً الحب والقيم الأخلاقية. تحتوي الحوارات على مزيج يشبه المحادثات بين مصاصي الدماء، تارة والعشاق طوراً. تُضفي الخلفية السريالية التي انطلقت منها الكاتبة أجواءً متصادمة وعنيفة على جميع نصوصها. أما الشخصيات في الكتاب، فهي متشظية وفصاميّة وكارهة، والعلاقات متحلّلة.

مركز دراسات الوحدة العربية

يستمر «مركز دراسات الوحدة العربية»، بالتعاون مع «معهد ستوكهولم لأبحاث السلام الدولي» (سيبري) منذ عام 2003، في إصدار النسخة العربية من كتاب «التسلح ونزع السلاح والأمن الدولي». هذا العام، يتناول الكتاب أبرز الأحداث المتعلقة بالحروب والنزاعات المسلحة ومشكلات التسلّح حول العالم، كما يعرض عمليات نزع السلاح واتفاقيات السلام والهدنة التي تحدث في المناطق التي تشهد حروباً أهلية أو نزاعات بين الدول، فضلاً عن تناوله الكوارث الطبيعية والمخاطر التي تُهدّد الأمن العالمي. يُعطّي الكتاب قضايا التسلّح والنزاعات المسلحة وقضايا جائحة كورونا والتغيّر المناخي في عام 2021 وفي الأشهر الأولى من عام 2022، وتتناول فصوله تلك التطورات في مختلف قارات العالم وبلدانه، خصوصاً عمليات السلام التي حصلت بين الدول والأقطاب المتنازعة في بعض المناطق.

فكري فيصل

تعدُّ رواية «حديث القاهرة» (دار ببلومانيا ـ القاهرة) للروائي المصري فكري فيصل جزءاً من مشروعه الروائي الطويل، فهي تُكمل مجموعة رواياته السابقة «قصة غرناطة» و«هيباتيا» و«ملحمة بوابة المتولي». تنقلنا الرواية إلى المستقبل البعيد، بعد مرور قرن، حيث تبدأ أحداثها المثيرة بكارثة هائلة ضربت الأرض، مغيرةً معالم العالم كما نعرفه تماماً. تترافق هذه الأحداث المستقبلية مع سرد قصة كاتب مصري يستعيد ذكريات شبابه وما شهدته تلك المدة من أحداث جسام في المنطقة العربية. رغم تبدُّل العالم بشكل جذري، إلا أن طبيعة البشر لم تتغير، فظلت النفوس البشرية تتنازعها المشاعر الإنسانية الأزلية: الحب، والأمل. وبقايا الماضي تطلق رواية «حديث القاهرة» تحذيراً للبشرية بضرورة التعقل والتروي، حتى تصبح الأرض مكاناً يتسع للجميع، ويعيشون فيه بسلام بعيداً عن العنصرية والكراهية. وفي الوقت نفسه، تغوص في أعماق السرديات الكبرى للوجود البشري، مستكشفة معاناة النفس واغترابها الدائم.

نبال تيسير الخماش

يُقدّم الباحث الأردني نبال تيسير الخماش في كتابه «الذاكرة المغيبة- دراسة في السلوك السياسي للمجتمع الفلسطيني بشهادة أبنائه» (المؤسسة العربية للدراسات والنشر) دراسة شاملة للسلوك السياسي للمجتمع الفلسطيني خلال مدة حرجة من تاريخه ما بين الحربين العالميتين، مستنداً إلى يوميات أفراد عايشوا تلك المدة ومذكراتهم. يُوضح الخماش أن الهدف من هذه التدوينات هو الحفاظ على الذاكرة الجمعية وتبليغها للأجيال اللاحقة، خوفاً من ضياع الحقيقة أو تزييفها، ويعتبر هذه الأعمال اعترافاً واعتذاراً للأجيال اللاحقة عن أوجه التقصير من قبل السياسيين وقادة المجتمع في ذلك الوقت. يعتمد الكتاب على 49 مصدراً ذاتياً تشمل مذكرات شخصية، ويوميات، وسير ذاتية، ما يُعطي للشهادات أهمية خاصة ورَخماً. تعتبر الشواهد النصية العمود الفقري للكتاب، حيث تعكس سلوك المجتمع الفلسطيني في تعامله مع قضيته الوجودية، ويعتمد الخماش في تحليلها على منهج بحثي دقيق.

حسن أوريد

يشكّل كتاب «إغراء الشعبوية في العالم العربي» (دار هاشيت/نوفل) للباحث المغربي حسن أوريد، مستنداً مهماً للقارئ العربي أينما كان، لما يُقدّمه من معلومات سياسية ونظرية، تاريخية وآنية، حول العرب، ماضيهم ومآلاتهم، وما يلوح في مستقبل وجودهم وديناميات حضورهم على الساحة الدولية. يناقش الكاتب مسألة استنفاد العالم العربي للسَّرديّات الجامعة، من قوميّة عربيّة، إلى إسلام سياسي، فانتشاء خلال الربيع العربي ثم إخفاق مرير وصولاً إلى سراب الشعبويّة.

مصطفى تاج الدين الموسى

يضمُّ كتاب «أغاني أخينا الكبير» (دار خطوط وظلال) للأديب السوري مصطفى تاج الدين الموسى مجموعة قصص اختيرت من المجموعات القصصية الست التي طُبعت للموسى بين عامي 2012 و2019، وضمّت 300 قصة قصيرة. تُعدّ هذه المجموعة المختارة مشروعاً أدبياً متميزاً يُجسّد تجربة الكاتب الإبداعية عبر ست محطات، ويترجم كدحه السردي المُكثف والمتأثر بتجربته الوجودية الحارقة. يتطلع المشروع إلى آفاق نصية وخيالية جديدة، مستعصية على الذوق التقليدي السائد حالياً. يبدو الكاتب في قصصه كعالم آثار حكائي قادم من المستقبل، يصطاد الأشياء الصغيرة في الحياة التي لا يلاحظها الآخرون، ويحفر الألواح الطينية التي تحمل مصائر الشخصيات والأماكن والأحلام. تتميّز هذه المختارات بأجوائها الكابوسية والساخرة والحزينة، حيث سنندفع سريعاً إلى قصر «الميتيور»، ثم نستمع لأصوات غناء خادعة، ولكننا في حقيقتها الغاز مُعقّدة تُجسّد عالمنا المعاصر المتشظي.

سجل الشعر العربي

عود على بدء إلى «سجلّ الشعر العربي» لنستهل هذه العودة بالقصيدة/ المفصل «حزن في ضوء القمر» التي كرّست صاحبها الشاعر السوري محمد الماغوط (1934-2006) واحداً من روّاد قصيدة النثر العربية. فالديوان الذي صدر عن دار مجلة «شعر» في بيروت عام 1959 واتّخذ من القصيدة عنواناً له، كان بمثابة القنبلة التي حمل الشاعر الصعلوكُ صاعقها الشعري المتفجّر بكل مفاجآته وتوتراته وانقلابه على البنية الكلاسيكية والتفعيلية للشعر العربي لتكون الإجابة العربية على سؤال بودلير الشهير: هل يمكننا أن نجترح من النثر قصيدة؟ شقّت قصيدة الماغوط هذه طريقاً وحدَها، كأن صاحبها بصَر بما لم يبصُر به غيره: كان نصّه يؤسّس لمدينة شاعرة خارجة عن الترميز الأسطوري والفولكلوري، نصّ حادٌّ كالنصل يواجه بلا موارية الزمن العربي المعلق والإشكالي وغير المعترف به. إنه نص مزركش بفتنة الحانات وارتجالات الشارع والإيقاع المونولوغي الحواري لحياة التجوال واستعمال تقنيات المونتاج والكولاج لمقاربة مفارقات تلكَ الصورة المدينية الصاخبة، ونبذ لـ«الروح الريفية» التي لطالما تلطّى بها الكثير من الشعراء العرب لتجميل الجرح القومي والإيديولوجي النرجسي الذي أكثر ما يتفجّر في اللغة. وتحديداً في الشعر. جاء نص الماغوط أشبه بموسيقى الجاز التي شاغبت على السمفونية عند اكتشاف المدينة، اكتشافها لا كاستعارة، لكنْ كحياة، كمكان وزمان، كفهرست ضخم وخارطة مبعثرة وحياة ليلية وقدرة كما عند بودلير على اجتراح قصيدة للأزهار المريضة: «من أعماق النوم أستيقظ/ لأفكر بركبة امرأةٍ شهيةٍ رأيتها ذات يوم/ أعاقر الخمرة وأقرض الشعر/ قل لحبيبتي ليلى/ ذات الفم السكران والقدمين الحريريتين/ إنني مريضٌ ومشتاق إليها».

تقديم واختيار محمد ناصر الدين

حزن في ضوء القمر

أيها الربيع المقبل من عينيها
أيها الكناري المسافر في ضوء القمر
خذني إليها
قصيدةَ غرامٍ أو طعنةَ خنجرٍ
فأنا متشردٌ وجريحٌ
أحب المطرَ وأنينَ الأمواج البعيدة
من أعماق النوم أستيقظ
لأفكر بركبة امرأةٍ شهيةٍ رأيتها ذات يوم
لأعاقر الخمرة وأقرض الشعر
قل لحبيبتي ليلى
ذات الفم السكران والقدمين الحريريتين
إنني مريضٌ ومشتاق إليها
إنني ألمح آثارَ أقدامٍ على قلبي
دمشق يا عربةَ السبايا الوردية
وأنا راقدٌ في غرفتي
أكتب وأحلم وأرنو إلى المارةِ
من قلب السماء العالية
أسمع وجيبَ لحمك العاري
عشرون عاماً ونحن ندق أبوابك الصلدةَ
والمطر يتساقط على ثيابنا وأطفالنا
ووجوهنا المختنقة بالسعال الجارح
تبدو حزينةً كالوداع صفراء كالسل
ورياحُ البراري الموحشة
تنقل نواحنا
إلى الأزقةِ وباعة الخبزِ والجواسيس
ونحن نعدو كالخيولِ الوحشية على صفحاتِ التاريخ
نبكي ونرتجف
وخلف أقدامِنا المعقوفة
تمضي الرياح والسنابل البرتقالية
وافترقنا
وفي عينيك الباردتين
تنوح عاصفةٌ من النجومِ المهرولة
أيتها العشيقةُ المتغضّنة
ذات الجسدِ المغطّى بالسعال والجواهر
أنت لي
هذا الحنين لك يا حقودة!
قبل الرحيلِ بلحظات
وتحت شمس الظهيرة الصفراء
كنت أسند رأسي على ضلْفات النوافذ
وأترك الدمعة
تبرق كالصباح كامرأة عارية
فأنا على علاقةٍ قديمةٍ بالحزن والعبودية
وقرب الغيوم الصامتة البعيدة
كانت تلوح لي مئاتُ الصدورِ العارية القذرة
تندفع في نهرٍ من الشوك
وسحابةٍ من العيون الزرق الحزينة
تحدِّق بي
بالتاريخ الرابض على شفتي
يا نظراتِ الحزنِ الطويلة
يا بقعَ الدم الصغيرة أفيقي
إنني أراك هنا
على البيارق المنكسة
وفي ثنيات الثياب الحريرية
وأنا أسيرُ كالرعدِ الأشقر في الزحام
تحت سمائك الصافية
أمضي باكياً يا وطني
أين السفن المعبّأة بالتبغ والسيوف
والجارية التي فتحت مملكة بعينيها النجلاوين
كامرأتين دافئتين
كليلةٍ طويلةٍ على صدر أنثى أنت يا وطني
إنني هنا شبحٌ غريبٌ مجهولٌ
تحت أظفاري العطرية
يقبع مجدُكَ الطاعن في السن
في عيون الأطفال
تسري دقات قلبك الخائر
لن تلتقي عيوننا بعد الآن
لقد أنشدتكَ ما فيه الكفاية
سأطلُّ عليك كالقرنفلة الحمراءِ البعيدة
كالسحابة التي لا وطنَ لها
وداعاً أيتها الصفحاتُ أيها الليل
أيتها الشبابيك الأرجوانية
انصبوا مشنقتي عالية عند الغروب
عندما يكون قلبي هادئاً كالحمامة
جميلاً كوردة زرقاء على رابيةٍ،
أودُّ أن أموت ملطّخاً
وعيناي مليئتان بالدموع
لترتفع إلى الأعناق ولو مرةً في العمر
فإنني مليءٌ بالحروف، والعناوين الدامية
في طفولتي،
كنت أحلم بجلبابٍ مخطَّطٍ بالذهب
وجوادٍ ينهب في الكروم والتلال الحجرية
أما الآن
وأنا أتسكّع تحت نور المصابيح
أنتقل كالعواهر من شارعٍ إلى شارعٍ
أشتهي جريمةً واسعةً
وسفينة بيضاء، تقلّني بين نهديها المالحين،
إلى بلادٍ بعيدة،
حيث في كل خطوةٍ حانةٌ وشجرةٌ خضراء
وفتاةٌ خُلاسية،
تسهر وحيدةً مع نهدها العطشان

Samedi 22 Juin 2024 no115
السبت 22 حزيران 2024 العدد 115

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

روزنامة الجرائم الإسرائيلية

تجدون على موقعنا حصيلة جرائم العدو الإسرائيلي يومياً في فلسطين ولبنان

شهادات من «الجحيم»

[2 ـ 3]

(من الويب)

التطبيع مع الكيان الصهيوني مخالف للقانون الدولي
4

جورج عبدالله يحرّر الحكومة اللبنانية
5

جنوبيون حرموا حقوقهم ويتّكلون على أنفسهم
7 ـ 6

سجون المخابرات تتحول إلى نظارات توقيف
أونلاين

جرائم الاحتلال

الإفراج عن عشرات المرضى والمعذّبين

شهادات من جحيم المعتقلات الإسرائيلية

جنان الخطيب

على مدى الأشهر الثمانية الماضية، سلّطت مئات التقارير والشهادات والتحقيقات مزيداً من الضوء على التعذيب الوحشي الذي تمارسه دولة الاحتلال بحق المعتقلين والأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال الإسرائيلي. ووثّقت منظمات المجتمع المدني الفلسطينية تعرّض السجناء للضرب المبرح والإساءة عدة مرات في اليوم، وحبسهم في زنازين «لا تصلح للحياة البشرية»، معصوبي الأعين وأيديهم مقيّدة بأربطة بلاستيكية، ومعزولين عن العالم الخارجي، ومجردين من ملابسهم، ومعاقبين جماعياً عبر التجويع، ومهاجمة الكلاب، والاعتداء الجنسي، والتعذيب النفسي...

- أطباء السجن وعلماء النفس الإسرائيليون متواطئون في التعذيب والمعاملة القاسية واللاإنسانية والمهينة للفلسطينيين المسجونين.
- «تلقّيت ضربة على رأسي نزفت والدماء جفت على وجهي ولم أستطع أن أفتح عينيّ بسبب الدماء ويداي مكبلتان».
- قتل واغتصاب وحقن بالإكراه بمواد مجهولة.
- إطلاق النار على المعتقلين بعد الإفراج عنهم وإجبارهم على الهرولة مئات الأمتار تحت وابل من الرصاص.
- استخدام الكلاب البوليسية والصعق بالكهرباء والضرب والإهانات في سجن عسقلان.
- «تأخرت 4 دقائق في الحمام فتمّ صعقي بالكهرباء» (الأسير سمير مرجان).
- معتقل أبكم تعرّض للضرب والتعذيب لأنه لم يُجب عن أسئلة المحققين.

اجساد نحيلة ونفوس محطّمة

وصل عشرات المعتقلين الفلسطينيين إلى شمال قطاع غزة بعدما أفرجت عنهم قوات الاحتلال في 11 حزيران الجاري. عادوا إلى الحياة بأدلة تعذيب تغطي أجسادهم النحيلة وبنفوسهم المحطّمة. فقد أفرجت قوات الاحتلال عن نحو 50 معتقلاً قرب موقع زكيم العسكري شمال غربي قطاع غزة، وأطلقت النار نحوهم وأجبرتهم على الجري مئات الأمتار ليصلوا وهم في حالة صعبة جداً إلى شمال القطاع. وقال رئيس المكتب الإعلامي الحكومي إن «نحو 50 أسيراً أفرج عنهم من منطقة زيكيم غرب بيت لاهيا، وهم من مختلف مناطق القطاع. وجرى نقلهم إلى مستشفى كمال عدوان لسوء وضعهم الصحي، فغالبيتهم يعاني كسوراً في العظام والصدر، وأجسامهم هزيلة لم تفارقها الأغلال طوال مدة اختطافهم من قبل عصابة الاحتلال».

> **وثّقت منظمات المجتمع المدني الفلسطينية تعرّض السجناء للضرب المبرح والإساءة عدة مرات في اليوم**

كما أظهرت الصور التي التقطتها عدسات الصحافيين في المستشفى، آثار التعذيب وسوء المعاملة على أجساد الأسرى، في وقتٍ تؤكد مصادر طبيّة أن بعضهم يُعاني من جروح ملتهبة جرّاء تقييد أيديهم، عدا عن حالتهم النفسية الصعبة.

تستدعي هذه الإفادات تحقيقاً موسعاً لأن يكون سهلاً طبعاً بسبب عدد من التحديات، «أبرزها مرور الزمن واستمرار العدوان وصعوبة التوثيق الدقيق وتدمير بعض الأدلّة. يضاف إلى ذلك تراكم مئات المجازر في القطاع المحاصَر ما يصعّب التحقيق في الانتهاكات التي تتزايد كل يوم منذ ثمانية اشهر».

خمسة أشهر معصوب العينين

«قلع الأظافر، الضرب على الرقبة، التكتيف وتكسير الصدر، في ناس تقطعت يديها، في ناس تقطعت رجليها، في ناس استشهدت وهي واقفة على الجدار في التعذيب، الحمام ممنوع، بتعملها عحالك»، يروي الأسير المحرر وليد أبو جامة ظروف الأسر والتعذيب في سجون الاحتلال. 5 أشهر قضاها وليد معصوب العينين، ومكبّل اليدين، بعدما اعتقله الاحتلال عشوائياً من دون سبب مع عشرات الشبان والأطفال والنساء عند حاجز جامعة الأقصى في خان يونس. تأتي شهادة أبو جامة ضمن شهادات مروعة لمعتقلين فلسطينيين مفرج عنهم تؤكد أن القوات الإسرائيلية ماضية في نهج التعذيب الشديد والانتقامي من المعتقلين الفلسطينيين رغم إدراكها أنهم مدنيون.

كشروا عظامنا

«مارسوا كل أنواع التعذيب، قاموا بكسر العظام، خرموا لي طبلة الأذن على الممر الآمن في تنساريم أول ساعة. بعد ذلك أخذوني إلى البركسات، وبعدها على سجن النقب وما أدراك ما سجن النقب. مسلخة النقب. لا طعام لا شراب. هل تعلمون أن هذه الشباب لها أكثر من 8 شهور على جسدي؟ حمتني من الموت. في عز البرد كنا ننام بدون أغطية على الأرض، نغطي أجسادنا بأجساد بعض. الجرب أنهك أجساد المعتقلين، وخاصة القسم 12 في سجن النقب. لا دواء ولا طبابة. الظروف صعبة جداً. الأسرى بعد 7 أكتوبر يعانون الويلات».

20 يوماً في الاسر

«أخذنا جيش الاحتلال الاسرائيلي من مدرسة حلب، طول الطريق ضرب وتعذيب وإهانات. رأينا أشخاصاً مقطوعي الأيدي والأرجل بسبب التعذيب. النوم ممنوع. الأكل والشرب شحيحان طبعاً. ذل. الكلبشات كل الوقت، وإذا غفيت يديرون عليك مياه المجاري. تلقيت ضربة على رأسي نزفت والدماء جفت على وجهي ولم أستطع أن أفتح عيني من الدم على وجهي فيما يداي مكبلتان».

حقن مجهولة

يقول أحد الأسرى المفرج عنهم إن قوات الاحتلال كانت تستخدم الصعقات الكهربائية أثناء التحقيق بهدف الحصول على الاعترافات والمعلومات عن فصائل المقاومة والأنفاق، وعندما يقول «لا أعرف فأنا مدني ولا علم لي بالأمور الأخرى»، يتم ضربه. وأضاف أن التحقيق كان مصحوباً باعتداءات وتعذيب وحشي. كما شهد الأسير المحرر في السجن على معاناة آخرين تردّت حالتهم الصحية، من دون اهتمام طبي، إضافة إلى إعطاء الجيش بعض الأسرى حقناً مجهولة. ويقول: «بسبب تأخّري في الحمام، صعقني أحد الضباط بالكهرباء، ومازالت آثار ذلك موجودة في جسدي، فحتى الحمام محسوب بوقت معين وإن تأخرت عن أربع دقائق سيتم صعقك بالكهرباء».

رأينا الموت كل يوم

«لم نتمكن من رؤية ضوء النهار ولا الشمس، بدأت في معرفة أوقات الصلاة بناءً على ضوء أعمدة الإنارة هناك» يقول أحد الأسرى المحررين، مؤكداً استشهاد معتقل تحت التعذيب. وأوضح: «صادفت قبل نحو خمسة أيام معتقلاً اسمه محمد الكحلوت من سكان الفالوجا شمال غزة، طلب مني أن أتواصل مع أهله إن خرجت وأخبرهم أنه بخير. كان في الغرفة المقابلة لنا وكنت أتحدث معه من الشبك ولم أكن أعرف أني سأخرج. في اليوم التالي من حديثنا توفي نتيجة تعرضه للتعذيب، ووضع الجيش جثمانه في كيس بلاستيكي من أكياس الموتى ونقلوه لمكان ما». ويضيف: «خلال احتجازي، كانت هناك مجموعة من المعتقلين من قطاع غزة، مصنفين كأسرى أمنيين يتم قمعهم طوال اليوم وضربهم بشكل وحشي وعشوائي حتى تسيل دماؤهم، محمد قُتل تحت التعذيب الذي كان يتعرض له في أوقات مختلفة طوال اليوم».

منذ اللحظة الأولى

«كانت الأصفاد في أيدينا وكنا معصوبي الأعين منذ اللحظة الأولى للاعتقال، حتى عندما ناكل ونذهب إلى دورة المياه، كانت أيادينا مكبّلة. عندما أبلغونا أنهم سيفرجون عنا، هددني أحد السجانين بالقول: لا تشكّ شيئاً أمام الصحافة، وإلا سنصل إليك مجدداً. عند إطلاق سراحنا ظهر الثلاثاء، في 11 حزيران، في منطقة زيكيم، قال لنا أحد الجنود: أمامكم أربع دقائق فقط للوصول إلى المناطق السكنية، وبعد ذلك من أشاهده سأطلق النار عليه. بدأنا بالجري في ظل الحر، ورغم وعورة الأرض وبعدنا عن المساكن».

الإذلال والحط من الكرامات

«أثناء الاستجواب، كنا نجبر على التعري العلني، وربطنا بكرسي فيما نحن راكعون وأيدينا مقيدة خلف ظهورهنا. كنا نتعرض للإيذاء الجسدي والنفسي كوننا عراة، وإجبارنا على القيام بأفعال مهينة ونحن عراة، مثل الرقص بدون ملابس وتصويرنا».

«الضوء الأخضر» الطبي للتعذيب

يساعد أطباء السجون الإسرائيلية في تعذيب المعتقلين الفلسطينيين عبر تبادل المعلومات الطبية الخاصة بالسجناء مع المحققين للحصول على «ضوء أخضر» للتعذيب، وتعليم المحققين كيفية إلحاق الألم من دون ترك علامات جسدية، بل وحتى الانخراط بنشاط في أعمال التعذيب بأنفسهم، حيث يبحث اختصاصيو الرعاية الصحية في فحوصاتهم عن نقاط الضعف الجسدية والنفسية لاستغلالها في الشخص. ويتم مشاركة نقاط الضعف هذه مع المحققين لمساعدتهم على كسر روح السجين. كما يقوم الأطباء الإسرائيليون بإخفاء الإصابات التي يلاحظونها أثناء التعذيب. وبدلاً من الوفاء بمسؤولياتهم الأخلاقية في الإبلاغ عن الانتهاكات، يقوم الأطباء بتزوير أو الامتناع عن توثيق الآثار الجسدية والنفسية للتعذيب على جسد المعتقل - ما يحرم الضحايا من استخدام الأدلة المحتملة ضد معذبيهم. ويمتد التواطؤ الطبي في التعذيب إلى ما هو أبعد من الأطباء الأفراد إلى النظام الطبي الإسرائيلي برمته.

آثار مدمرة للتعذيب

التعذيب لا يترك ندبات جسدية فقط، بل يُحدث أيضاً أضراراً نفسية عميقة وطويلة الأمد. يمكن أن يعاني الضحايا من اضطراب ما بعد الصدمة (PTSD)، والذي يتضمن ذكريات الماضي المؤلمة، والكوابيس، وصعوبة التركيز، والقلق. كما يمكن أن يؤدي التعذيب إلى الاكتئاب والقلق المزمنين، وفقدان الثقة بالآخرين، وصعوبة في العلاقات الشخصية. وقد يعاني الضحايا أيضاً من مشكلات جسدية مثل آلام مزمنة، ومشكلات النوم، واضطرابات الجهاز الهضمي. أكثر من ذلك، يمكن أن يؤدي التعذيب إلى فقدان الثقة بالنفس والشعور بالذنب والعجز. هذه التأثيرات بعيدة المدى ويمكن أن تستمر لسنوات أو حتى لعقود بعد التعذيب.

تحت القوس

لماذا تهدّد «إسرائيل» غوتيريس؟

عمر نشابة

في خطوة وقحة وغير مسبوقة، هدّد وزير خارجية العدو الإسرائيلي اسرائيل كاتس الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريس في رسالة رسمية وجهها اليه الأربعاء الفائت (سُرّبت نسخة منها إلى صحيفة اسرائيلية). وردا على تحذير غوتيريس من خطر المجاعة في غزة، توجّه إليه كاتس بالقول: «سيحكم عليك التاريخ بسبب الوصمة الأخلاقية التي تحمّلتها الأمم المتحدة خلال فترة ولايتك».

اتّهم كاتس غوتيريس بتشويه البيانات المتعلقة بـ«المساعدات التي تقدمها إسرائيل لقطاع غزة» ونشرها بشكل انتقائي «بهدف تضليل الرأي العام العالمي». وادّعى ان هناك تناقضات بين تقارير الأمم المتحدة والبيانات التي تحدد عدد شاحنات المساعدات، وطالب الأمم المتحدة بتصحيح المعلومات «الخاطئة» وإصدار اعتذار رسمي عن «نشر بيانات غير كاملة تشوه الواقع على الأرض». علماً ان عدد شاحنات المساعدات التي يزعم العدو انها دخلت الى القطاع منذ ثمانية أشهر يزيد على 13 الف شاحنة، ولا يوجد مصدر دولي أو تقرير رسمي صادر عن المنظمات الانسانية يتوافق مع هذه المزاعم. قبل عرض السبب الأساسي الذي دفع وزير خارجية العدو الى توجيه رسالة التهديد الى غوتيريس، لا بد من الإشارة الى انه حاول صياغتها بشكل احتيالي يظهر الكيان الإسرائيلي كدولة تحترم حقوق البشر، بينما لا يُخفى على أحد في العالم اليوم حجم الاجرام والقتل والتعذيب والتجويع الذي فرضه على اكثر من مليوني انسان محاصرين في بقعة من الأرض لا تزيد على 360 كلم2. تماماً كما يفعل نتنياهو عندما يقول ان «الجيش الإسرائيلي هو الأكثر أخلاقية في العالم» بينما تنتشر صور ضباط وعسكريين إسرائيليين يرتدون ملابس داخلية نسائية سرقوها من بيوت المدنيين الذين هجّروهم منها أو قضوا عليهم.

حسم كاتس بأن هدف غوتيريس هو «تضليل الرأي العام» من دون أن يحدد الأسباب او الدوافع (علماً ان بإمكاننا التكهن بأن العدو الإسرائيلي سيزعم ان أساس الدوافع هو معاداة السامية لأن ذلك ينطبق، بالنسبة اليه، على كل من يطالب بوقف الإبادة الجماعية في غزة). لكن لعل الأهم، هو تحديد دوافع كاتس لتهديد غوتيريس، وهي مبنيّة على حسابات إسرائيلية ومتعلقة بقرار صدر عن مجلس الامن الدولي عام 2018 (القرار رقم 2417). وجاء في نص القرار الذي وافق عليه جميع أعضاء مجلس الامن، بما في ذلك لـ«إسرائيل» (الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا) ان المجلس «يدين بشدّة استخدام تجويع المدنيين كأسلوب من أساليب القتال، وهو أمر محظور بموجب القانون الدولي الإنساني» و«يدين بشدّة المنع غير القانوني من إيصال المساعدات الإنسانية وحرمان المدنيين من المواد التي لا غنى عنها لبقائهم على قيد الحياة، بما في ذلك تعمّد عرقلة امدادات الإغاثة». ولا يكتفي المجلس بالإدانات، بل «يشير الى أن المجلس يتخذ، ويمكن ان ينظر في اتخاذ، تدابير جزائية (...) يمكن تطبيقها على الأفراد أو الكيانات ممن يعرقلون إيصال المساعدات الإنسانية والحصول عليها وتوزيعها». وفي الفقرات 11 و12 و13، يطلب مجلس الامن من الأمين العام «تقديم معلومات عن الحالة الإنسانية والاستجابة لها بما في ذلك بشأن خطر المجاعة وانعدام الأمن الغذائي»، ويطلب كذلك منه «أن يبلّغ المجلس بسرعة عند حدوث خطر مجاعة»، ويغرب مجلس الامن عن «اهتمامه الكامل للمعلومات التي يقدمها الأمين العام لدى اطلاعه على تلك الحالات».

فهل ينجح وزير خارجية العدو في ترهيب أنطونيو غوتيريس؟ وبالنسبة للاسرائيليين الا يكفي ما نشرته صحيفة «غارديان» البريطانية عن تهديدات الموساد لقضاة المحكمة الجنائية الدولية؟ هل سيحتاج الموساد الى مزيد من التهديد والوعيد لكل رجل ابيض يجرؤ على الاعتراض على استمرار إبادة الشعب الفلسطيني في غزّة؟

جرائم الاحتلال

التطبيع مع الكيان الصهيوني مخالف للقانون الدولي

لونا فرحات

التطبيع في اللغة العربية يعني التعامل أو تقديم شيء غير طبيعي بطبيعته، مثل القمع أو الظلم، كما لو كان طبيعياً. التطبيع مع إسرائيل هو فكرة جعل الاحتلال والاستيطان العنصري يبدوان طبيعيّيْن وإقامة علاقات طبيعية مع النظام الاسرائيلي بدلاً من دعم النضال الذي يقوده الشعب الفلسطيني لاسترداد حقوقه المشروعة «الطبيعية».

تطبيع العلاقات مصطلح سياسي يشير إلى جعل العلاقات «طبيعية» بعد فترة من التوتر أو القطيعة لأي سبب كان، حيث تعود العلاقة طبيعية وكأن لم يكن هناك خلاف أو قطيعة سابقة. وفي علم الاجتماع، التطبيع الاجتماعي هو العملية التي من خلالها تُعتبر الأفكار والسلوكيات التي تقع خارج الأعراف الاجتماعية طبيعية. تبنى الكيان الصهيوني المصطلح لترسيخ المفهوم أكثر من سعيه إلى توقيع اتفاقيات سلام مع دول الجوار العربية، لأن الكيان يعلم جيداً أن الاتفاقيات ستبقى سطحية واحتفالية إذا لم يتم تطبيع العلاقات بشكل كامل مع شعوب المنطقة العربية، والهدف من ذلك ترسيخ الاستعمار الاستيطاني وإعادة صياغته من خلال تطبيع نظام القوة والهيمنة الذي يتناقض مع كل ما هو طبيعي وعادي. وبهذه الطريقة، يجري ترويض شعوب المنطقة على قبول علاقات طبيعية مع إسرائيل دون حل عادل للقضية الفلسطينية والتعوّد على الاحتلال والفصل العنصري وجرائمه.

اي علاقات طبيعية مع نظام عنصري استيطاني؟

هل نظام الفصل العنصري سلوك مقبول على المستوى الدولي؟ كيف تعاملت الدول مع نظام بريتوريا العنصري في السابق؟ هل استطاعت التطبيع معه؟ المجتمع الدولي من خلال الأمم المتحدة حاصر نظام جنوب أفريقيا العنصري اقتصادياً وثقافياً وتجارياً ودبلوماسياً، وفي النهاية سقط النظام العنصري. وكان للدول الأفريقية بالرغم من أوضاعها الاقتصادية المتردية دور مفصلي في مقاطعة نظام بريتوريا، فهي أجمعت على معارضة العنصرية لأنها ترمز إلى بقايا الاستعمار الأوروبي. إذاً، المقاطعة هي التي ساندت المقاومة في جنوب أفريقيا ودعمت نضالها من خلال تضامن إقليمي مبدئي فعّال ومستدام، واعتبرت أن تحرير جنوب أفريقيا أمر غير قابل للتفاوض، وشكّلت خط مواجهة ومعارضة أدّى في النهاية إلى عزلة نظام بريتوريا وإسقاطه في بداية تسعينيات القرن الماضي. فلا يمكن التطبيع مع أنظمة تنتهك القانون الدولي وحقوق الإنسان ووجوده.

الثابت أن الاستيطان من الجرائم المستمرة، وهو سلوك إجرامي يقوم أساساً على تهجير السكان قسراً، والتهجير القسري هو جريمة حرب. فالترحيل القسري للسكان من الأراضي المحتلة يحظره القانون الدولي وفقاً للمادة 49 من اتفاقية جنيف الرابعة والمادة 85 من البروتوكول الإضافي الأول. وتكمن خطورة التطبيع في أنه يعترف بكيان قائم على أساس الاحتلال والاستيطان غير المشروع، متجاهلاً الجرائم الدولية التي ارتكبها العدو الإسرائيلي في حق الفلسطينيين منذ نشأته عام 1948 (راجع «القوس»، «إسرائيل مستوطنة لا دولة»، 2024/1/20)

التطبيع مع الكيان الصهيوني يستوجب المسؤولية القانونية

التطبيع، بحسب دراسات قانونية متخصصة، هو صورة من صور الاشتراك الجرمي في جريمة قائمة منذ 75 عاماً تتمثل في الاحتلال العسكري لفلسطين. وتستند هذه الدراسات إلى أحكام وقرارات الشرعية الدولية والاتفاقيات الدولية، وأهمها القرار 194 المتعلق بحق العودة للفلسطينيين والتعويض عليهم، وهو ما يؤكد قيام المسؤولية المدنية على دولة الاحتلال. الأمر لا يقتصر على جريمة الاحتلال العسكري. فالمتتبع لتاريخ الاحتلال الإسرائيلي سيجد سجلاً حافلاً من الجرائم تتمثل في التطهير العرقي والمجازر وترويع السكان المدنيين وطردهم والاستيطان غير الشرعي وتهويد القدس، إضافة الى جرائم المستوطنين وبناء الجدار العازل. وكل من هذه الجرائم صدرت بشأنها سلسلة من قرارات الإدانة الدولية التي لم تلقَ أي صدى لدى المحتل الصهيوني. كل هذه الجرائم هي أفعال «طبيعية» بحسب مفهوم التطبيع؛ كل السلوكيات الصادرة عن الكيان الصهيوني التي يسعى التطبيع إلى اعتبارها «طبيعية» هي جرائم وفق القانون الدولي.

التطبيع مع الكيان الصهيوني يمنح الشرعية لدولة الاحتلال ويحرم الشعب الفلسطيني من حقوقه المشروعة التي أقرتها الشرعية الدولية، وأهمها حق تقرير المصير. والمتضرر المباشر من التطبيع هو الشعب الفلسطيني. فقد تبيّن أن التطبيع قدّم للكيان الصهيوني التنازلات مرة بعد أخرى في مقابل تلاشي الحقوق الفلسطينية عبر إضفاء الشرعية على الاحتلال وجرائمه. وبالتالي، من يحمل لواء التطبيع يتحمل مسؤولية التعويض عن الأضرار التي لحقت بالشعب الفلسطيني بسبب التطبيع.

نتائج التطبيع القانونية

● التطبيع سيمنح الكيان الصهيوني اعترافاً بسيادته على فلسطين ويخرجه من دائرة العداوة لدى الدول المطبّعة وكأنها أعطت الحق له بالاحتلال والإبقاء على مستوطناته وبارتكاب المزيد من الجرائم. وسيكون التطبيع بمثابة مكافأة لممارسات الكيان الصهيوني.

> **من يحمل لواء التطبيع يتحمّل مسؤولية التعويض عن الاضرار التي لحقت بالشعب الفلسطيني**

● سيؤدي إلى طمس حقيقة أن فلسطين هي حق لشعبها الأصيل، وأن الاستيلاء عليها جاء مخالفاً للقانون الدولي الذي يحدد آليات وراثة الدول وتقاسم أراضيها، والمال الطبيعي والقانوني هو الحق للشعوب والسكان الأصليين للمناطق التي كانت تشكل قسماً أو إقليماً من الدولة العثمانية التي كان من المفترض مع تفكّكها أن تؤول فلسطين إلى حكم وسيطرة الفلسطينيين.

● الاحتلال جريمة مستمرة وتلحق بها جرائم العدوان وجرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية. لذا، فالتطبيع جريمة تابعة وإبرام الاتفاقيات مع هذه الحالة الجرمية المستمرة منذ عام 1948 والتعامل مع الكيان الصهيوني أمنياً وعسكرياً وتجارياً وثقافياً وسياسياً وسياحياً يشكل حالة شراكة جرمية بصورة مباشرة أو غير مباشرة ويشجع على الإفلات من العقاب.

● التطبيع لن يوقف سلوكيات الكيان الصهيوني الإجرامية وخطر توسعه الاستيطاني لن يتوقف. (راجع: «رأي استشاري قانوني: التطبيع العربي الرسمي مع الكيان الصهيوني: الجوانب والآثار القانونية» - مركز الزيتونة)

● من مقاصد التطبيع توقيع اتفاقيات مع الكيان الصهيوني، وهو بذلك يكرّس الاعتراف بالكيان. وهذا من شأنه أن يكرّس الاحتلال كحالة دائمة، وفي ذلك مخالفة أيضاً للقانون الدولي الذي لا يجيز أن يتحول الاحتلال إلى حالة دائمة، إذ إنه حالة أوجدتها القوة القاهرة، وهو واقع مؤقت لا يقوم على أي أساس من القانون.

● يشكل التطبيع مع إسرائيل دعماً وإسناداً لممارساته الخطيرة وانتهاكاته الجسيمة للقانون الدولي الإنساني وممارساته المتعلقة بمدينة القدس، خصوصاً في ما يتعلق بقرار إعلانها كعاصمة أبدية للكيان، وفي ذلك مخالفة صريحة لقرارات الأمم المتحدة. (راجع «اتفاقيات التطبيع في ضوء قواعد القانون الدولي»، دراسة حقوقية قانونية)

التطبيع في زمن الإبادة الجماعية

إضافة إلى ما ذُكر أعلاه، فإن التطبيع قد يشكل انتهاكاً لاتفاقية الإبادة الجماعية. فالاتفاقية تنص في مادتها الأولى على أنه «تصادق الأطراف المتعاقدة على الإبادة الجماعية، سواء ارتكبت في أيام السلم أو أثناء الحرب، هي جريمة بمقتضى القانون الدولي، وتتعهد بمنعها والمعاقبة عليها». فهل عمدت الدول المطبّعة مع إسرائيل الى اتخاذ أي إجراء من شأنه منع إسرائيل من ارتكاب جريمة الإبادة؟

متابعة

جورج عبدالله يحرّر الحكومة اللبنانية

فداء عبد الفتاح

40 عاماً من الاعتقال التعسفي للمناضل جورج عبدالله في السجون الفرنسية، لم يكن خلالها للدولة اللبنانية أي موقف رسمي من هذا الملف انعكاساً للهيمنة الفرنسية على مكوّنات النظام اللبناني. بعض المبادرات الخجولة جاءت فردية ونتيجة الضغط الكبير من عائلة عبدالله بشكل أساسي، ومن قوى سياسية ومستقلين حملوا قضيته وشكّلوا لأجلها حملة للضغط على السلطات الفرنسية واللبنانية، عبر عشرات الوقفات الاحتجاجية والإضاءة على الانتهاكات القانونية والسياسية في هذا الملف الذي تحوّل إلى قضية العصر لناحية التعسف الفرنسي غير المسبوق بحق سجين أنهى محكوميته، وترفض الإدارة السياسية الإفراج عنه خلافاً للقانون، ورغم تصريحات مسؤولين فرنسيين كبار عن تلفيق كل ما جاء في ملف القضية. وكان القاضي السابق الذي أسّس الجهاز المركزي لمكافحة الإرهاب آلان مارسو وصف في كتابه Avant de tout oublier كيف استفاد الفرنسيون من التفجيرات التي استهدفت مدنيين في باريس في تلك الفترة ليزيدوا من قساوة العقوبة بالمناضل عبدالله، وأشار في الكتاب إلى أن «جورج عبدالله محكوم بشيء لم يفعله. بعد فترة اكتشفنا الهوية الحقيقية للمسؤولين عن تفجيرات عام 1986».

عام 2018، سلّمت الحملة الوطنية لتحرير المناضل جورج عبدالله 128 نائباً في مجلس النواب ملفاً كاملاً عن القضية منذ تاريخ توقيفه في فرنسا عام 1984 إلى تاريخ آخر قرار إفراج عنه تمّ تعطيله عام 2013 من قبل السلطة السياسية الفرنسية التي رضخت للضغوط الصهيو - أميركية. كما نظّمت الحملة عشرات الوقفات الاحتجاجية المطالبة بتحمّل الدولة اللبنانية لمسؤولياتها تجاه مواطن لبناني محتجز تعسّفاً على الأراضي الفرنسية باعتراف مسؤولين فرنسيين. ولكن، طوال هذه السنوات لم يصدر عن الدولة اللبنانية أي قرار رسمي متعلق بهذه القضية، وكل ما صدر كان مجرد مبادرات فردية من بعض المسؤولين، كالزيارة التي قامت بها وزيرة العدل السابقة ماري كلود نجم بمبادرة شخصية منها، وقد اشترط عليها الفرنسيون عدم الإعلان عنها لا قبلها ولا بعدها. وذكرت نجم حينها أن معاملات إذن الزيارة كانت معقّدة للغاية؛ وبعد لقائها المناضل جورج عبدالله أكدت أن قضيته سياسية بامتياز وليست قانونية.

> **سبق ان سلّم لبنان مطلوبين فرنسيين للسلطات الفرنسية ولم يبادر اي مسؤول سياسي إلى تحريك ملف جورج عبدالله**

ما الذي تغير إذاً ودفع بالحكومة اللبنانية أخيراً للطلب بشكل رسمي من الفرنسيين تسليم جورج عبدالله؟

خلال جلسة مجلس الوزراء المنعقدة بتاريخ 14 حزيران، تقدّم وزير العدل هنري خوري بكتاب يطلب فيه الموافقة على تسليم مواطن فرنسي – جزائري للسلطات الفرنسية. اعترض وزير العمل مصطفى بيرم على ورقة الطلب، وقال إن هذا الموضوع «شأن سيادي، والأجدى أن نطالب فرنسا بتسليمنا مواطناً لبنانياً مناضلاً محتجزاً لديها منذ 40 عاماً رغم انتهاء محكوميته». وأكّد أن طرح الموضوع ليس على سبيل المقايضة مطلقاً مع الموقوف الفرنسي من أصول جزائرية، ولا تصح المقارنة بين الملفين. وانضم وزير الثقافة محمد وسام المرتضى إلى الوزير بيرم، وتقدّم باقتراح مراسلة السلطات الفرنسية عبر الحكومة اللبنانية لإطلاق عبدالله. وطالما أن موضوع تسليم المواطن الفرنسي طُرح على مجلس الوزراء فعلى الحكومة أن تطالب السلطات الفرنسية تسليمه لدولته.

الحملة الوطنية لتحرير جورج عبدالله توقّفت في بيان «باهتمام أمام قرار الحكومة اللبنانية تكليف وزارة العدل بالطلب من السلطات الفرنسية الإفراج عن جورج بعد أن أنهى محكوميته، الأمر الذي لطالما اعتبرته الحملة أنه من واجبات الدولة في الدفاع عن مواطنيها، خصوصاً تجاه مقاوم أمضى سنين عمره دفاعاً عن تحرير بلاده». وأضاف «يأتي القرار لتأكيد معنى الصمود الذي أبداه المناضل جورج عبدالله على مدى سنوات اعتقاله الأربعين، متمسّكاً بشرعية المقاومة في وجه الاحتلال، ومعبّراً كل يوم عن تأييده للمقاومة التي تحرر الأرض وتستعيد حرية الأسرى والمعتقلين. لذلك، لا ترى الحملة أي صلة بين مسألة مواطن فرنسي من أصل جزائري متهم من جانب بلاده، وحق جورج عبدالله بالعودة حراً إلى وطنه». وختم البيان بالإشارة الى أن الحملة «كما هي حال العديد من اللجان والمنظمات في فرنسا وغيرها، تميّز بين المطالبة بتحرير الأسير عبدالله وشجب العدوانية الصهيونية»، ودعت بالتنسيق مع مجموعة «طلاب ضد الاحتلال» إلى وقفة تضامنية مع الأسير أمام السفارة الفرنسية في 20 حزيران الجاري (اليوم). كما ستتابع عائلة المناضل عبدالله والحملة الوطنية مع وزارة العدل مجريات تنفيذ القرار الحكومي في مراسلة السلطات الفرنسية لتسليم جورج عبدالله للدولة اللبنانية.

كما تدعو الحملة الوطنية وككل عام لاعتصام حاشد في الرابع عشر من تموز أمام قصر الصنوبر تزامنا مع الاحتفال بالعيد الوطني الفرنسي.

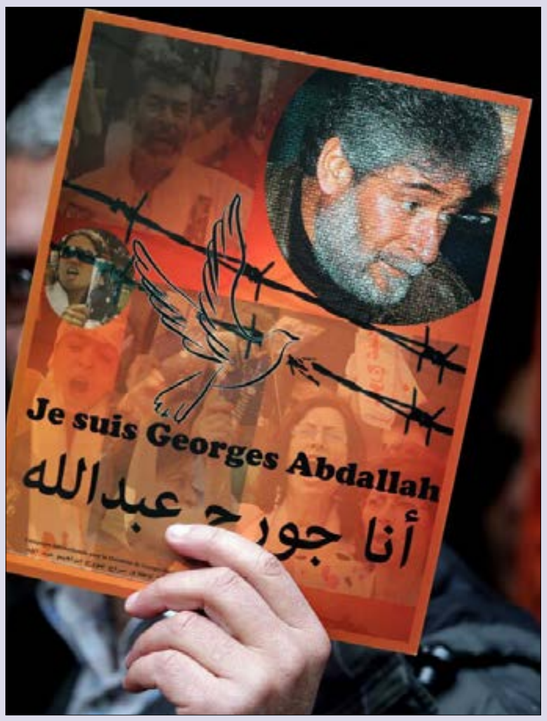

جرائم الاحتلال

الدولة تخلت عن مسؤولياتها في الجنوب

جنوبيون حرموا حقوقهم ويتّكلون على أنفسهم

سوزان مكّه

تحنّ بيسان إلى منزلها الذي نزحت منه مع طفليها في قرية ميس الجبل الحدودية. صمّدت حتى لحظة قصف المنازل بجوارها، فشعرت ان البقاء يهدد حياة اطفالها. بصلابة، تؤكد ان الحياة اقوى من آلة القتل الصهيونية. تصف المنزل الذي غادرته، والقرية التي خلت من فرح سكانها بفعل الغارات وصواريخ العدو الإسرائيلي. بيسان واحدة من الاف النازحين من قراهم الحدودية بسبب العدوان الإسرائيلي. ورغم مرارة النزوح والقلق من غياب الدولة وتلكؤها عن القيام بأي مسؤولية تجاهها وفقا لما يكفله القانون للمواطنين في حالات الطوارئ والحروب، ترى ان نزوحها عن المنطقة الاحب لقلبها هو مساهمة صغيرة في المعركة بوجه عدو غاصب «حتى لو تُركنا في مواجهة مصيرنا من دون أي رعاية واغاثة وحماية وتحملنا كل التداعيات».

بعد دخول الحرب شهرها التاسع، لا يزال العدو الصهيوني يرتكب أبشع الجرائم والمجازر بحق اهل غزة والجنوب اللبناني، منتهكا حقوق الانسان والقوانين الدولية ومستخدما كل أنواع الأسلحة المحرمة دولياً. فبعدما كانت الاعتداءات محصورة بالمناطق المتاخمة للحدود مع فلسطين المحتلة، تطورت لتطال مناطق بعيدة وصولا الى النبطية وبعلبك.

مع سقوط العديد من أبناء القرى الحدودية التي أصبحت شبه مدمرة أو مدمرة كلياً، تعمد آلة الحرب الصهيونية الى اعتماد سياسة الأرض المحروقة بغية تهجير الناس الى غير رجعة. ونتيجة للاعتداءات الإسرائيلية المستمرة على القرى والبلدات الحدودية، لا تزال حركة النزوح للجنوبيين قائمة، وتخطى عدد النازحين وفقًا لتقرير المنظمة الدولية للهجرة 92 الفا موزعين على النبطية، صور، صيدا، الضاحية الجنوبية، وجبل لبنان. فكيف هي أحوالهم؟ ولماذا يتركون من دون التفاتة الى معاناتهم واوضاعهم اليومية؟ وهل قامت أجهزة الدولة، وفق خطتها «الاستباقية»، بواجباتها في تقديم المساعدات والدعم اللازم، لا سيما بعدما تفاقمت أعباء النازحين؟ ام ان الدولة تتلطى خلف مزاعم العجز والافتقار الى الموارد والامكانيات لتبقى الخطط حبراً على ورق. ولماذا تتعمد السلطات انتهاج سياسة العجز الذي يضعف الإرادة السياسية والسيادة الوطنية والقانون ويسهل للقوى المهيمنة استغلالها خدمة لمصالحها على حساب المجتمع كله؟ معاناة أهالي الجنوب تستدعي إعادة التذكير بما يُفترض انه بديهي، وهو أن «الجنوب جزء من لبنان». ولأن واقع الجنوبيين النازحين لم يعد يحتمل المماطلة وتقاذف الصلاحيات والمسؤوليات، اما ان الاوان لوضع خطة واضحة وزيادة المساعدات لمن يدفعون ضريبة الهوية والانتماء عن كل الوطن؟

المأوى والغذاء حقّ يكفله القانون في حالة الحرب

بموجب القانون الدولي الإنساني، على الدول في حالة الحرب تأمين ظروف مناسبة لمواطنيها من حيث المأوى والأوضاع الصحية والوقائية والعلاجية والسلامة والتغذية. وتتضمن اتفاقيات جنيف

> **معاناة اهالي الجنوب تستدعي إعادة التذكير بما يُفترض انه بديهي وهو ان «الجنوب جزء من لبنان»**

وبروتوكولاتها احكاماً دقيقة للغاية حول «حظر ومهاجمة او تدمير المواد الاستهلاكية والاعيان اللازمة للابقاء على حياة المدنيين (ومثال ذلك المواد الغذائية والمحاصيل والماشية ومرافق مياه الشرب وشبكاتها واشغال الري)، بينما تقع على عاتق الدول في حالات الحرب مسؤولية القيام بأعلى مستوى من التنظيم والتنسيق في ما يتعلق بتأمين الحماية وكفالة حياة مواطنيها من الترويع والتهديد والايذاء والقتل بواسطة «المجرمين»، وتجنيد كل إمكاناتها للدفاع عنهم من أي عدوان خارجي يهدف الى السيطرة على ثروات الدولة او إلحاق الضرر بمواطنيها وممتلكاتهم ومصالحهم، كما وتقليل الاضرار عليهم الى اقصى حد ممكن. قد يُهيأ للبعض ان الدولة اللبنانية التي وضعت نفسها في حالة استنفار منذ بدء الحرب لمواجهة التطورات والتي انبثق عنها خطة الطوارئ الوطنية، وبغض النظر عن اوضاعها المالية وظروفها السياسية، تقوم بواجباتها تجاه مواطنيها الجنوبيين الذين يدفعون الثمن الأكبر في هذه الحرب. الا ان هذه الخطة لا تزال متعثرة بحجة عدم وجود تمويل، لا سيما بعدما رفض المصرف المركزي تمويلها بذريعة حماية ما تبقى من أموال المودعين، فضلا عن نقص الإرادة السياسية واليات التنظيم والتنسيق وتفكك مؤسسات الدولة، وهذا ما يجيّر وظائفها بشكل متعمد وعن سابق تصور وتصميم الى القطاع الخاص والأحزاب والمنظمات الدولية. اكثر من ذلك، لم تتحرّك الدولة إلا بعد مطالبتها من الأحزاب المحلّية بالقيام بواجباتها، فانحصر هذا التدخل بصرف مبلغ 300 مليار ليرة لبنانية لمجلس الجنوب لدفع تعويضات للمتضرّرين من الحرب. التجربة التي يعيشها النازحون بعد تسعة اشهر من الحرب على الجبهة الجنوبية، تشعرهم «ان الدولة لا تتحرك الا لإلغاء الدعم وتحرير الأسعار وتدمير مستوى المعيشة»، وان كل خطة منبثقة عنها تولد معطلة وغير قابلة للتطبيق ولا تواكب الاحداث بشكل جدي، بل ذهب بعضهم الى اعتبار الدولة في حالة اشبه بالموت السريري.

خطة طوارئ تحاكي حرب تموز 2006

خطة الطوارئ التي انبثقت عن مجلس الوزراء هي محاكاة مبنية بشكل أساسي على وقائع حرب تموز 2006، اذ قسمت لبنان الى ثلاث مناطق على المستوى الجغرافي وفق ما تعرضت له من قصف إسرائيلي، واستندت بذلك الى حجم الاضرار البشرية والمادية التي لحقت بلبنان. تحاكي الخطة التنسيق والتكامل على المستويين القطاعي والتنسيقي، فعلى الوزارات المعنية تحديد امكانياتها، وتجهيز خططها وجردتها في ما يتعلق بالأمن الغذائي والصحة والاتصالات وتامين المياه والمحروقات، والايواء والإنقاذ، والحماية والامن، توقعا لأي توسع في العدوان الاسرائيلي. يتوجب تشكيل لجنة مركزية، يرأسها أمين عام مجلس الدفاع الأعلى، للتنسيق المركزي مع الجمعيات والمنظمات الدولية، والتي بدورها تنسق مع لجان إدارة الكوارث المحلّية على مستوى الأقضية. على ارض الواقع، وللميوم، لم تنجز هذه المحاكاة «الاستباقية» بشكل كامل، رغم ان اكثرية التحليلات تشير الى توسع الحرب على صعيد الاستهداف والجغرافيا، لتصل ابعد بكثير من نطاق حرب تموز 2006، وخاصة ان الجرائم الإسرائيلية تلقى دعما من الغرب لا سيما الولايات المتحدة، مما يمنحها القدرة على استخدام الأسلحة المحرمة والتدميرية، ويشجعها على ارتكاب مزيد من المجازر من دون أي رادع قانوني ودولي. على صعيد اخر، لا تتضمن هذه الخطة إجراءات «استباقية» تحسبا لاتساع الحرب الهمجي، بل تتركز فقط على كيفية «للمّة» الضحايا عند وقوعها، من دون اي تفصيل يذكر عن آلية الاخلاء للمناطق الحساسة، او حتى المستشفيات الميدانية، والدواء والغذاء والمياه وغيرها. اذ يظهر الاختبار المحصور لتداعيات الحرب الاسرائيلية على الجنوب، فشل الدولة عن القيام بادوارها البسيطة تجاه النازحين الجنوبيين، لا بل حصرت نفسها فقط بوظيفة التنسيق. أما حجم الخسائر والتداعيات التي بقيت خارج أي بحث حتى الان فستكون الكارثة الكبرى التي لم تقع بعد.

تكافل وتضامن مجتمعي في ظل غياب الدولة

بعد أربع سنوات من تفاقم الازمة الاقتصادية، وفقدان المواطنين أعمالهم وخسارة رواتبهم بفعل التضخم الجامح، ومدخراتهم بسبب الإفلاس المصرفي وسوء الادارة، يعيش النازحون الجنوبيون امام واقع صعب تحت مقصلتي عدو همجي من جهة، وغياب الدولة وتقاعس أجهزتها عن القيام بواجباتها في تقديم المساعدات لهم من جهة أخرى. وبعد الرمان الخاسر للدولة على المنظمات الدولية التي توقفت عن دعم النازحين الجنوبيين، تؤدي الجمعيات وبعض البلديات والافراد دورا كبيرا في تغطية العجز الحاصل، اذ تعمل بكل إمكاناتها لتقديم الدعم للنازحين لجهة الغذاء والدواء واساسيات العيش، وتؤمن الحماية الإجتماعية والمساعدات والخدمات لهم.

1- المنظمات الدولية

خلال الأشهر الأولى من الحرب، وبحسب مكتب الأمم المتحدة للشؤون الإنسانية، أمنت المنظمات الدولية 60,874 ألف بطانية موزعة على منطقة النبطية والجنوب، و241,789 الف وجبة غذائية على المأوى الجماعية في صور وصيدا، و150 خيمة للنازحين، وقدمت الخدمات الصحية لـ 14,233 نازحاً. وحصل نحو 16 الف اسرة وأسرة واحدة على مساعدات مادية نقدية. والجدير ذكره ان هذه المساعدات لا تطال كل الاحتياجات ولا تشمل كل النازحين وفقا للأرقام المبينة أعلاه، لا بل أكثر من ذلك، توقفت هذه المساعدات منذ كانون الثاني 2024 وترك النازحون لمواجهة مصائرهم.

2- جمعية «وتعاونوا»

«في ظل غياب تام للدولة اللبنانية والوزارات المعنية والجهات الضامنة عن المشهد الحاصل في الجنوب، وبعد انسحاب عدد من الجمعيات التي تحمست في الأشهر الأولى من الحرب لتقديم المساعدات وتلبية احتياجات النازحين، لا زالت جمعية وتعاونوا، معنية وشريكة بالمسؤولية تجاه مساعدة أهلنا الجنوبيين» وفق رئيسها عفيف شومان الذي يؤكد أن «الأمور ممتازة وتحت السيطرة وعلى أحسن ما يرام، لا بل اعددنا خططا مسبقة تحسبا لأي طارئ لا سيما الحرب، فالجميع في بيئة المقاومة يرى نفسه شريكًا في المواجهة». وفي إطار التصدي لمتابعة احتياجات النازحين اليومية، من غذاء ودواء واستشفاء، يشدد شومان على «ان كل ما يلزم العائلة النازحة يتم تقديمه من دون الدخول بالأرقام والتفاصيل لأن ما نقدمه هو لأنفسنا وخاصة في ما يتعلق بالمواجهة مع عدو مجرم. فمن حق أهلنا الذين تركوا بيوتهم في الخطوط الامامية افساحا للمجال امام المجاهدين ان يتم تأمين كل وسائل الراحة لهم». ويشير الى ان الجمعية تتابع شؤون 4000 عائلة تقريباً، و«استطعنا بعد تماس مباشر مع بعض المغتربين، الذين هاجروا بسبب وحشية هذا العدو، ومع المقيمين، من تأمين وحدات سكنية لكثير من العائلات النازحة إلى مناطق الخط الثاني في الجنوب، وقد قدمت لهم مجاناً»، بينما اخرون يتوزعون على شقق سكنية عائدة لأبنائهم او اقاربهم او أبناء المنطقة، «ولولا ثقافة التكافل الإجتماعي للمجتمع الجنوبي لكان الوضع صعباً جداً».

> **انحصر تدخّل الدولة بصرف مبلغ 300 مليار ليرة لبنانية لمجلس الجنوب لدفع تعويضات للمتضرّرين من الحرب**

في السياق نفسه تقدم الجمعية الحليب لـ 2500 طفل شهرياً، واحيانا الملابس الجديدة او حتى المستعملة والجيدة، كما تؤمن لحوالي 850 عائلة صامدة في الخطوط الامامية المساعدات والأدوية، وتمدّهم باللوازم الأساسية لتعزيز صمودهم بالتكافل وبجهود موحدة مع العمل الاجتماعي لحزب الله، «ولن يثنينا العدو بقصفهِ واجرامه عن الوقوف والتعاون مع أهلنا وتقديم المال والارزاق والارواح» بحسب شومان، لافتاً الى ان العاملين في الجمعية الذين ينقلون المساعدات متطوعون وكثير منهم من النازحين الذين تركوا بيوتهم في القرى الحدودية وهذا المشهد بحد ذاته «بكبّر القلب».

3- ورشة الصمود

جاء عيد الأضحى هذا العام محاصرا بطوق من الازمات الخانقة والحرب الوحشية، مجردا من فرص البهجة والتمنيات، الا ان أهالي الجنوب صامدون، أغلبهم قرر المشاركة بطريقته بالجهاد والصمود. في السوق الشعبي لمدينة النبطية، ازدحام العيد بدا واضحا رغم الاحوال المعيشية المتردية التي أنهكت معظم السكان ورغم الحرب. تشتكي لما، صاحبة محل "Je suis LouLou"، من قلة المبيعات وندرة الزبائن في ظل الحرب، لكنها بالتعاون مع المخرج فضل شبت و«المعهد التكنولوجي الدولي» الذي تقدم الدورات للطلاب فيه، سعت لتقديم المساعدة للنازحين عبر «بسطة العيد» في السوق الشعبي أسمتها «ورشة صمود»، عرضت فيها البضائع بأسعار منخفضة جدا، لمساعدة غير القادرين على تحمل التكاليف، وتأكيدا منها على تخفيف الأعباء التي ارهقت النازحين. أضف الى ذلك، ان الهدف من ورشة الصمود زرع المعرفة والمساهمة في تقديم حسومات للتعليم لأي اختصاص في مجال التجميل والإخراج في المعهد الذي تدرب فيه، تشجيعا للشباب الذي خسر معظمهم قدرتهم على متابعة الدراسة في القرى الحدودية. «الناس لازم تقوم ببعضها» في ظل غياب الدولة والظروف الصعبة، لذلك جمعت التبرعات العينية من محلات الالبسة والالعاب وقدمتها في الخيمة كهدايا للأطفال، «اذ لا بد من غرس الفرحة ورسم الابتسامة في وجوههم» بعد كل هذه المعاناة.

(مروان بو حيدر)

(مروان بو حيدر)

تدمير ممنهج في الجنوب

اصبح عدد من الأراضي الجنوبية الحدودية منكوباً بفعل الفوسفور الأبيض المحرم دوليا الذي استخدمه العدو الإسرائيلي منذ بدء الحرب، والذي سينسحب ضرره على السنوات المقبلة، مما سيؤدّي إلى خسائر كبيرة للدخل السنوي للأسر التي تعتمد على الزراعة. وتقدر خسائر القطاع الزراعي في الجنوب بثلاثة مليارات دولار، بسبب «تضرر 8 ملايين متر مربع من الأراضي الزراعية، وفقدان 75% من المزارعين مصدر دخلهم» وفق ما عرضه رئيس مجلس الوزراء نجيب ميقاتي. كما تأثرت سلاسل التوريد بشكل واسع بسبب الحرب، لا سيّما مصانع منتجات الحليب والإنتاج الحيواني من أبقار وماعز. اذ توقف الإنتاج كلّياً في 12 مصنعاً للألبان والاجبان. وتشير بيانات وزارة الزراعة التي نقلها مكتب الأمم المتحدة للشؤون الإنسانية، وبعد انقطاع العديد من المواطنين عن أعمالهم بسبب نزوحهم وفقدان مصدر رزقهم، إلى اقفال 200 مزرعة بشكل تام، وتدمير العدو مئات من مزارع الحيوانات والدواجن، ناهيك عن إغلاق 50 مدرسة في المناطق الحدودية واستبدالها بـ 10 مدارس فقط في أماكن النزوح.

القوس
السبت 22 حزيران 2024 العدد 115

حربٌ على الأطفال

شهداء وجرحى

15,694 شهيدا

34,000≈ جريح

3,600 مفقود

1,500≈ طفل اصيبوا بعاهة مستدامة

فقدان الوالدين او احدهما

17,000 طفل يتيم

3% منهم فقدوا كلا الوالدين

المسكن

700,000+ طفل نزحوا قسرا

650,000≈ طفل بلا ماوى

المجاعة والعطش

82,000 يعانون اعراض سوء التغذية

33 طفلاً استُشهدوا بسبب المجاعة

98% بلا مياه صالحة للشرب

3< لترات مياه يومياً فقط

الامراض والاوبئة

3,500 طفل مصابون بامراض مزمنة

40,000≈ رضيع لم يحصلوا على اللقاحات

60,000 جنين معرض للاجهاض او التشوهات

450,000 طفل معرضون للإصابة بالسرطان

جميع الأطفال يعانون صدمات نفسية

التعليم

625,000 طفل تركوا الدراسة

خطف

200+ طفل

إعداد احمد مدلج

القوس

■ فريق التحرير: **عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، ألف باء القانون**
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: **رامي عليّان**

alqaous | al_qaous | alqaous22 | alqaous | 01/34 99 54
info@alqaous.com | www.alqaous.com